كتابات معاصرة للشباب

الغرب وكتابة التاريخ بدم الآخر

خرافة صراع الحضارات

طه محمد كسبه

الغرب
وكتابة التاريخ بدم الآخر

قراءة : طه محمد كسبه

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كسبه ، طه محمد
الغرب وكتابة التاريخ بدم الآخر / طه محمد كسبه – جدة ، ١٤٢٥هـ
١٩٣ص ٤ .. سم

ردمك: ٣-٦٧٤-٤٤-٩٩٦٠

١- صراع الحضارات ٢- الحضرة الاسلامية ٣- التأريخ
أ، العنوان
ديوي ٩٠١,٩ ١٤٢٥/١١٣٦

رقم الإيداع: ١٣٦ / ١٤٢٥
ردمك: ٣-٦٧٤-٤-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

الى ..

خير أمة أخرجت للناس ..

الىٰ أمتي الاسلامية

التي انتمي اليها وافخر بها ..

داعيا الله جلت قدرته.. أن ينصرها على أعدائها الذين تكاثروا من حولها ..

وأن يمكن لها في الأرض .. وأن يتحقق وعده لها ..

المؤلف

كلمة واجبة

اعترف بان امتنا جد مستهدفة ، وان الغرب قد احكم قبضته عليها من كل جانب ، وللاسف الشديد ، فان مايحدث لهذه الامة ، ليس فقط بيد اعدائها وخصومها التاريخيين ، ولكن ايضا بايدي بعض ابنائها ، والازمة التي تعيشها النخبة العربية والاسلامية .

فهم اختاروا جانب التبعية ، والانقياد الاعمى ، والتسليم له ، ومن ثم كانوا عونا لاعداء امتهم . واعدائهم . على ابناء امتهم ، وعلى اجيالهم القادمة ، ان هي ابصرت النور .

في الكلمات التي سطرتها ، والتي ابسط فيها لنوعية الخلاف الذي يواجه امتنا باعدائها الذين تكاثروا ، بعد ان اضاعوا علينا فرصة اللحاق بالعصر الحديث ، وفرصة ان نوفر لاوطاننا مكانة تليق بها في هذا العالم ، ودون ان يكون لهذه الامة مستقبل امن .

صدام الحضارات ، او صراع الحضارات كما يسميه الغرب ، ليس سوى غطاء هش لسياسات الهيمنة والسيطرة ، والتغريب ، والحصار حتي تسقط الامة فريسة في احضان الامبراطورية الامريكية المهيمنة على العالم ، والهاء الامة وشعوبها في معارك جانبية ، وتفتيت كيانها تحت العديد من الشعارات .

في هذه السطور فضح كامل للمخطط الاسود الذي يستهدف

الامة العربية ، ومن ورائها الامة الاسلامية . بلسان ابناء الغرب وعرابي العولمة ، ودعاة صدام الحضارات ، ومروجي سياسات الهيمنة ، وقادة الامبراطورية الخائفة . دون سبب . حتى نفكر فيما يمكن ان نفعله ،

فهل نستوعب الدرس ..

ارجو ان لا يتاخر فهمنا لما يجري حولنا ، وان نملك الارادة التي تمكننا من الدفاع عن كياننا وحاضرنا ، ومستقبل امتنا واجيالنا من بعدنا ..

طه محمد كسبه

الباب الأول

خرافة صراع الحضارات

الشخصية الاسلامية ..
في مواجهة صراع الحضارات ..

يتعرض عالمنا العربي والاسلامي الى هجمة شرسة من العالم الغربي ، والتي اتخذت من شعار " مواجهة الارهاب " سبيلا نحو ضرب العالم الاسلامي ، وحضارته ، وايقاع الهزيمة بمشروعه الحضاري ، وافتعال المعارك الوهمية ، وصولا الى محاصرته ومن ثم القضاء عليه ، وابداله وابدال حضارته ، ومحو هويته ، وهذا مادفع بي الى طرح تعريفي للشخصية الاسلامية ، ومكوناتها ، ومقوماتها ، في وقت تزامن معه كثرة الحديث عن صراع الحضارات الذي يروج له الغرب ، وحوار الحضارات الذي يدعو اليه المسلمون ، والذي سبق وان طرحت تصوري لكيفية قيام حوار بين الحضارة العربية الاسلامية ،والحضارة الغربية التي يقودها الغرب الامريكي ، والذي يعتمد على ضرورة الاعتراف بالاخر ، حتى يقوم الحوار على اسس موضوعية ، لاتنكر وجوده ، حيث تسعى الحضارة الغربية الى انكار وجود الحضارة الاسلامية ، وتهميش الواقع الاسلامي ، وادخال الوجود الاسلامي والعربي في

معطف العولمة ، هذه العولمة التي تهدم واحدة من الاسس التي تقوم عليها الحضارة الاسلامية ، وهي الهوية الاسلامية ومحاولة طمسها واستبدال مقوماتها ومكوناتها القيمية والاخلاقية .

كنت قد ذكرت في كتيب قيم صدر ضمن اعداد " المجلة العربية " والذي كان عنوانه " الشخصية الاسلامية . سمات وتحديات " ، وقد ضمنته طرح واحدة من اهم المحاور الذي يقوم عليها الكتيب ، والتي تتحدث عن ماهية الشخصية ، حيث تجولت بين صفحاته في تحديد معنى الهوية ، والبحث في استخلاص معالم الشخصية الاسلامية ، بعد ان حددت معنى الشخصية التي يمكن تلخيصها في أنها " تعني في مجمل القول التنظيم الفريد للافكار والمعتقدات والاتجاهات والقيم والعادات التي ينظمها الفرد في شكل ادوار ومراكز يستغلها في تفاعله مع غيره وفي تفاعله مع نفسه ايضا " .

هذه الشخصية ليست سوى" ثمرة الحضارة التي تتمثل فيها شخصية الفرد ، وشخصية المجموع ، كما ان الشخصية يلزمها معيار الحرية للفرد ، ومعيار الكرامة للمجموع وبغيرهما فلا كرامة ، ولاحرية في أي مجتمع " . ومن هنا فان " الشخصية الاسلامية تنطبق عليها هذه الصفات ، وهي التي تكتسب حركتها ونشاطها من الصفات التي اتصفت بها هذه الشخصية " ،ذلك ان الاسلام " يؤطر الشخصية الاسلامية بالعقيدة الاسلامية ، حيث تتكون عقليته ، وتتشكل نفسيته ، ومن ثم يصبح الاسلام مقياسا لجميع الافكار عمليا وواقعيا ، الامر الذي ينشيء عقلية اسلامية في

الانسان نفسه ، ومن هنا فان الانسان يصبح شخصية سوية بغض النظر عن كونه عالما او جاهلا ، مدركا او غير مدرك . وهذا بالضبط هو مفتاح الشخصية الاسلامية " .

من هنا فانه يمكن القول كيف بان هذه الشخصية " لاتعدو الا ان تكون عبدا من عباد الله تأتمر بامره وتنتهي بما ينهي عنه ، وهي لذلك تصبح شخصية قوية ، والتي اصبحت دوما محور رسالة الاسلام ، لانها باختصار تستمد وجودها وقوتها من الله ." . باعتبارها شخصية مؤمنة ..

ومن ثم يتوجب تحديد مكونات الشخصية المسلمة ، التي تتميز بالعديد من الخصائص والتراكيب العقائدية والسلوكية والاجتماعية .. باعتبار انها شخصية مؤمنة . كما سبق ان قلت . وايمانها نابع من مكونات العقيدة الاسلامية ، وهذا الايمان يتكون من ستة عناصر هي الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الاخر ، وبالقدر خيره وشره .

هذه الشخصية تلتزم بحسن السلوك الذي حدده القران الكريم والسنة النبوية الشريفة حتى تظل النفس البشرية على هذا المستوى المناسب من الاتزان ، والاعتدال مع ذاتها ومع غيرها .وذلك عن طريق الالتزام بالعبادات الاسلامية التي فرضها الاسلام على من يؤمن بالاسلام وهي الالتزام بالصلاة بالكيفية التي حددها الاسلام ، والزكاة الاسلامية ، والصوم الذي دعا اليه ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

كما تلتزم هذه الشخصية باسلامية الثقافة ، بمعنى ان تلتزم

هذه الشخصية مجموعة القيم والتقاليد الاجتماعية التي يتلقاها الفرد عن دينه منذ صغره وحتى وفاته ، كما انها المحيط الذي يعكس حضارة الاسلام التي تضم ثمرات الفكر من علم واداب واخلاق .

وهذه الثقافة التي تتصف بانها انسانية ، وعالمية ، تنظر الى الناس بمقياس واحد لاتفسده قومية او عنصرية ولا امتياز لجنس على اخر ، كما انها ثقافة شرعية بمعنى ان الدين قوامها ، وتنتسب الى دين شامل ، هو منهج متكامل للحياة البشرية بكل مقوماتها . كما انها ثقافة ايجابية بناءة تدفع الى الامام والتقدم والرقي ، وهي في ذات الوقت ثقافة منفتحة على الاخر .

كما تتصف الشخصية الاسلامية بانها شخصية شاملة متكاملة ، تعكس روح الاسلام ، التي تتصف بالتناسق والتكامل والشمول ، والتي تنبع اساسا من دعوة الاسلام لجميع افراده ان يكونوا على مستوى عال من حسن التعامل الذي يكفل للحياة ايجابية العيش في سلام مع الاخر .

كما انها تتصف بالطموح ، بمعنى ان الشخصية الاسلامية شخصية متحركة تسعى الى تحقيق التقدم والرقي ، وان هذا يتحقق طالما هي متمسكة بدينها وعقيدتها ، لانها شخصية تسعى الى ان تحيا في رخاء مادي وجسدي وروحي وفي توافق تام .

اضافة الى اتصاف هذه الشخصية بالتكامل ، بمعنى ان هذه الشخصية تحيا حياة متكاملة تتجاور فيها الروح مع المادة ، والعقل مع القلب ، والارادة مع الوجدان ، والفكر مع العاطفة .ففي هذا

التكامل حياة مستمرة .

والى جانب التكامل ، فان الشخصية الاسلامية تتصف بالاخاء وفعل الخيرات ، باعتبار ان هذا السلوك نابع ايضا من اسس وقيم العقيدة الاسلامية ، وان اتصاف الشخصية الاسلامية بهذا انما هو ضمان لوحدة المجتمع الاسلامي الذي يقوم على اسس متينة من الاخاء والمساواة ، كما ان الخيرية هي واحدة من الاسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم ، الذي هو في الاساس مجتمع قراني .

هذه الشخصية الاسلامية تواجه اليوم ، عالما مليئا بالمغيرات والتحولات الحادة ، وتيارات العداء المتصاعد من قبل الغرب ، ومن يمثله ، اضافة الى المكائد التي واجهها الاسلام عبر مسيرة خمسة عشر قرنا من الزمان ، مستخلصا منها الدروس ونحن نواجه اليوم تيارات العولمة والعلمانية ، والحصار السياسي والعسكري والاقتصادي ، في محاولات للتضييق على الشخصية الاسلامية ، واتهامها المستمر بالعنصرية والتعصب وانها مصدر الارهاب العالمي ، كل ذلك يحدث في عصر اطلقت عليه بانه : عصر الشراك الفكرية الخداعية ، وعصر القنابل الفلسفية الموقوتة " وتتداول في منتدياته وصالوناته ووسائل اعلامه الغام الالحاد ذو العلامة التجارية الدولية . والتي تتخذ من الاقتصاد العالمي راس حربة موجهة ضد المجتمعات الاسلامية .

ولعلي اختم هنا بالقول ، بان العيب ليس في المسلمين ولكن العيب في انه اذا اراد العالم في ان يتعايش . بدلا من ان يتحارب . عليه ان يعترف بالاخر وبحقه في الوجود ، والعيش في سلام يدعو

اليه هذا الاخر ، وعلى الحضارة الغربية ان تعترف بفضل الحضارة الاسلامية عليها ، وهذا مالا يعترف به الغرب ويهرب من الاعتراف به ، وبدلا من الرجوع الى الحق ، يحاول ان يوظف السياسة والاقتصاد في خدمة اغراضه واهدافه نحو السيطرة والهيمنة ، والغاء الاخر في محاولة للقضاء عليه .

وهذا ما اكدت عليه مرارا وأكرر الاشارة اليه والتحذير منه وضرورة التنبه الى فخ محاربة الارهاب ، فالمقصود هو حرب الاسلام والمسلمين ولو تمسح الغرب في شعارات تبدو براقة للبعض وتخدع كل العالم في سبيل تحقيق مصالحها التي خططت لها ، وتسعى الان لاستدراج العالم الاسلامي الى مواجهة جديدة ، تمهد لها كثيرا بحرب الارهاب ، والعولمة ، وصراع الحضارات وما الى غير ذلك من الدعوات التي يطلقها الكتاب والمثقفون ، وبعض صانعي القرار في الولايات المتحدة الامريكية ، في توزيع ذكي للادوار التي تستهدف خطتها كل ماهو اسلامي اينما كان وحيثما كان .

تكامل الحضارات
بين الحوار الاسلامي والصراع الغربي

ماجدوى الحوار وهم يجهزون كفني ..

لعلي بطرح هذا التساؤل ، اكون قد تخليت عن حيادي . وهو مقصود . وذلك لسبب بسيط هو انني انتمي الى الاخر الذي لا يريدون الحوار معه والتصادم مع حضارته وتراثه وثقافته .

هذه العبارة التي تصدرت هذا الكلم هي ذات التساؤل الذي يطرحه كل مسلم وهو يقرا ويسمع كل يوم مايتردد عن رغبة الغرب المسيحي في التحاور وضرورة البحث عن القواسم المشتركة بين الاسلام والغرب وفي ذات الوقت يستنفرون كل قواهم لصراع طويل مع الاسلام ومواجهته والقضاء عليه ان افلحوا وقدروا .

ولعلي اعيد طرح سؤالي بشكل اكثر تحديدا .. ماذا يفيد هذا السيل الطويل من الدعوات الى الحوار ، وسط هذا المناخ العدائي الذي يثيره البعض من مفكري الغرب ، وساسته ومنظرو سياساته وقادته ، وسط دقات طبول الحرب والاستنفار الدائم للمواجهة .

ثم اسارع الى القول بان دعوات الحوار ليست وليدة اليوم او وليدة احداث مرت بالعلاقات الاسلامية الغربية ، اذا جاز التعبير ، فالاسلام لا يعادي الغرب ، ولايعادي الشرق او يعادي أي احد ، ولكنها دعوات صدرت منذ ان ظهر الاسلام كحضارة ودولة ينظر اليها الغرب المسيحي بكثير من الريبة والشك والاستعلاء والاستعداء .

ولقد تغيرت اساليب هذا الحوار على مدى اكثر من اربعة عشر قرنا من الزمان ، مابين حوار وتصادم ومواجهة واعتداء ورد اعتداء وبين حروب باردة وساخنة ، ومن ثم تشكل عبر هذه السنين تراث كبير من العداء على ضفتي النهر .

هذا التراث الحواري التصادمي ، لم يقدم شيئا ولم تستفد منه شيئا بل اكاد اقول ان تحولات العصر الحديث ، الذي نواجهه اليوم افرزت العديد من المتغيرات والاحداث التي حتمت اجراء مثل هذا الحوار ونحن نستشرف افاق عالم جديد في عصر جديد سوف يضيف الجديد والكثير منه الى ملف العلاقات بين الحضارة الاسلامية والغرب .

وفي اعتقادي انه سوف يظل هذا الملف مفتوحا ، ساخنا وملتهبا لانه بساطة شديدة يعكس مشكلة على قدر كبير من الاهمية الا وهي مشكلة التفاهم الدولي التي هي في الاساس مشكلة علاقات بين حضارات اصطلح على تسميتها شرقيا بحوار الحضارات في حين يفضل الغرب تسميتها بضراع الحضارات ، هذا الاختلاف في التسمية يعكس اختلافا جذريا في نقطة هامة جدا ومحورية

اساسية تفضح مكنونات كل طرف.

فالتراث الاسلامي مليء بدعوات متعددة للتحاور حتى مع الاعداء والاكوان والاشياء وان كان الاسلام لجأ الى التصادم او العنف فانه كان تصادما مفروضا ولم يكن خيارا والاسلام يدعو المسلمين في كل وقت الى الاحسان والتسامح والى الدعوة باحسان والتحاور واعمال العقل والتفكير والاقناع وكل مايدور حول هذه المعاني والافكار من كلمات ورغبات .

فالتحاور دعوة اسلامية اصيلة من دعاوي الاسلام وهي ارث حضاري ارسى الاسلام قواعده لكن ماذا عن الاخر ؟

لعل افضل وصف لما يطلقه الغرب من كتاب ومثقفين وساسة وقادة ، هو ان يستعدي ويستنفر قواه العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، كما يستنفر كل اعوانه وكل مايملك من قوة الى مواجهة هذا الخطر القادم من الشرق الذي هو الاسلام بالتحديد .

ومن ثم اصبح الخطر الاخضر ، وهو الرديف اللغوي الذي يطلقونه على الاسلام ، اضافة الى كلمات الشيطان القادم من الشرق ، والعدو البديل وهلم جرا من التسميات والالقاب التي اصبحت تقرن او يكنى بها الاسلام والمسلمون .

ولعلي ارى انه من المفيد ان نقول ان الحوار بين الاسلام والغرب باعتباره تجمعا يعني الاخر المناظر ، والموازي للاسلام ، فالغرب او المسيحيون او الحضارة الغربية او كل مايمكن ان نصنفه غير اسلامي ، يصبح هو الاخر الذي يواجه الاسلام . هذا الحوار او

الرغبة فيه ليست وليدة اليوم . كما سبق ان قلت . ولكنها تاريخ طويل ، وملف يفتح كلما اعوزت الحاجة الغرب الى البحث عن عدو او الاستعداد لحرب جديدة عن عدو مفترض .

الدكتور نبيه عاقل يورد قصة بداية الحوار الاسلامي وغير الاسلامي (الغرب) فيقول : لقد استشعر الغرب الخطر ، كل الخطر من نهضة الشرق بعد قيام الاسلام عقيدة ودولة ، حيث لم يعترف الغرب بان الاسلام انما اراد اتمام مابدأته الديانات السماوية السابقة عليه ، ونسوا ان المسيحية نفسها قد جاءت اليهم من الشرق . مثلها في ذلك مثل اليهودية ايضا . فاعتبروا الدين الجديد مظهرا من مظاهر الثورة الكبرى تقوم به اسيا ضد سيطرة اليونان والرومان وصاروا منذ ذلك التاريخ يصورون الاختلاف بين الشرق والغرب كصراع بين الاسلام والمسيحية ، ثم جاءت الحروب الصليبية فلم تطرح تحديا عسكريا وسياسيا وعقيديا فحسب ، بل اثارت في اوساط المفكرين والعلماء الغربيين اندفاعا قويا نحو دراسة الاسلام كدين وكانت بعض العلومات عن الاسلام قد وصلت الى الغرب قبلا وذلك عن طريقين ، اولهما المصادر البيزنطية وثانيهما بواسطة الاحتكاك المباشر بين المسلمين والمسيحيين في عيشهما المشترك في اسبانيا ابان الحكم العربي لها . ايام دولة الاندلس . ولم تكن هذه المعلومات على درجة عالية من الدقة والمصداقية .

ويستطرد فيقول وحين بدات عودة الصليبين من المشرق . بعد الهزيمة. كان من بني اسلابهم بعض الكتب العربية الاسلامية

التي اخذت طريقها للترجمة وذلك بدءا من القرن الثاني عشر وقد اخذت النظرة الى الاسلام بواسطة العديد من المتعلمين تتغير ، حيث راح العد يد من كتابات الفلاسفة والمفكرين والمستشرقين تطرح المتباين من الافكار والمعلومات والتناول المتعدد عن الاسلام تكثر ، منها ماهو محايد ومنها ماهو غير ذلك ، مثال ان توما الاكويني لم يستطع ان ينكر اهمية وجود الاسلام على حدود المسيحيين ومايتضمنه هذا الوجود من تحديات وبمرور الوقت ادرك المسيحيون في الغرب ان الابتعاد السلبي عن الاسلام عمر صعب وجاءت الكوميديا الالهية لدانتي لتثبت ان هذا المفكر كان يدرك ماتدين به اوروبا الغربية للفلاسفة العرب وفكرهم المبني على المفاهيم والقيم الاسلامية ."

ومنذ ذلك الوقت تراوحت روح العداء ونقيضها لتؤثر على سلوك وفكر الغرب تجاه الاسلام الى ان وصل بنا الحال الى القرن العشرين حيث ظلت. على مدى الايام. تتزايد الحاجة الى الحوار والى النقاش وصولا الى حالة من التعايش الدولي في ظل علاقات دولية متشابكة ومعقدة .

ولعلي اضيف بالقول ان أي حوار قائم او محتمل بين كل من الاسلام والغرب او الاخر غير الاسلامي ممثلا في المسيحية الغربية او الحضارة الغربية. والاغرب هنا ان لا احد نادى او قال بحوار اسلامي بوذي او هندوسي او غير ذلك. فدائما هو الغرب ، والغرب المسيحي ، وهذا يفسر الى حد بعيد الاطماع الغربية في بلاد الاسلام والمسلمين .. يجب ان يتم في مناخ تتوافر له عناصر

النجاح والايجابية ولا اظن ان حوارا يمكن ان يقوم بينما طبول الحرب والاستنفار الاستعدائي تدق ويغطي ضجيجها حوار المتحاورين ، واقول ايضا ان الرغبة في الصراع ماتزال مستمرة وهي ان كانت استمرارا فانها استمرارا للمواجهة التي رغبت فيها عناصر غربية دينية او مدنية او عسكرية ، وهي ايضا استمرار لروح العداء التي لم تعد خافية على احد والتي لم تكن تنفع فيما مضى ، فمازال الغرب يعيش هذا الوهم الزائف والمصطنع بالخوف من الاسلام ومايمثله له من تهديد عليه ، وعلى مصالحه وحياته . ثم لعلي اعود الى المعنى الذي قصدته من هذا العنوان الذي صدرت به هذه الكلمات هو كيف تلتقي الحضارات وتتواجه في ظل رغبة الشرق في ان يكون هذا اللقاء وهذه المواجهة حوارا بين الحضارات ويسعي الغرب لان يكون هذا اللقاء صراعا وصداما ومايعكسه هذا التباين بين الموقفين الشرقي والغربي في نظرته الى حتمية هذا اللقاء .

ولعلي اقرر هنا . ايضا . ان لب المشكلة التي تواجه العلاقات بين حضارات الشرق وحضارات الغرب تكمن في اشكالية التفاهم الدولي الذي ولد كثيرا من سوء الفهم وسوء القصد فيما يتعلق بالية وماهية هذا المازق الذي اصبح يعكس الحاجة الى ايجاد ارضية مشتركة ولكيفية ايجاد صيغة مشتركة لالتقاء حضارة الاسلام بحضارة الغرب .

ان هذا الحوار محكوم عليه بالفشل . كسابقيه . وعلى الرغم من تحقيق بعض المكاسب البسيطة من اجل التعايش ، والسبب يكمن

في نوايا الاخـر الغـربي ، حـيث ان الاخـر الذي يرغب بالتحـاور يخفي خلف ظهره سكينا ويضع تحت منضدة الحوار لغما ويحيط قاعة الحوار بادوات تجسس وعسس وسلاح وشراك خداعية ، واعتقد ان هذه كلها ليست من ادوات التحاور ولا تعكس رغبة حقيقية بالاستفادة من الحوار والرغبة في ان . اسمع الاخر وان اقول مالدي . وان يستفيد كلانا من الاخر ، وان نتسامح وان لا يحكم العداء تصرفاتنا تجاه بعضنا البعض وان لا يحكم المنطق التامري سلوكنا تجاه بعضنا البعض .

فللحوار قواعد واسس وهدف وغاية وادوات ، وفي اعتقادي انها متوافرة ، واذا ما اردنا ان نستعرض المخاطر التي تتواجه هذا الحوار . وتجهض الرغبة في التحاور والاستمرار فيه ، فهي اكثر من ان تحصى وتعد .

استقامة مناخ الحوار يقودنا الى التساؤل حول جدوى الحوار الحضاري بين حوار يتبناه محاور وصدام يسعى اليه الاخر ، وكنا قد رجونا ان يتبدل المناخ التحاوري الى مناخ يسمح بالتحاور بعيدا عن الحرب الباردة وشرورها والاستنفار العدائي حتى نجني جميعا ثمار هذا الحوار الذي يسعى الى ايجاد ارضية مشتركة للعيش المشترك في جو من التسامح والتعاون لا العداء والتنافس .

وكنا قد انهينا حديثنا المبدئي عن صور هذا الاستنفار والاستعداء ودعوات الغرب الى ضرورة المواجهة واتصادم والى ضرورة انزال الهزيمة بالاخر الاسلامي والصاق كل نقيصة به

واستعداء كل القوى للتوحد ضد الخطر القادم من الشرق .

ملف الاستعداء كبير ومتضخم ويستغرق التاريخ الانساني منذ ان ظهر الاسلام ومنذ ان نزل الوحي على محمد. صلى الله عليه وسلم. ومنذ ان اسس دولة الاسلام في المدينة المنورة ومنذ ان امتدت الفتوحات الاسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى وقفت على مشارف اوروبا المتقدمة وتجمع الغرب المسيحي ضد الدعوة شرقا عند يوغوسلافيا السابقة ، وغربا عند فرنسا وانتهاء بسقوط الاندلس ومنذ ان بدأت الحروب الصليبية باشكالها المختلفة وانتهاء بانتهاء حقبة الاستعمار الغربي للدول العربية والاسلامية في منتصف القرن الماضي . العشرين . .

ومن ثم انتهاء صور الاستعمار العسكري واستمرار اشكال الاستعمار الفكري والثقافي والحضاري لدول الشرق والاسلام ومحاولات الغرب الدؤوبة لاستمرار هذا النوع من الاستعمار .

ان استعراض الاعتداءات الغربية على دول وشعوب الشرق الاسلامي كثيرة وهي معروفة لكني فقط سوف اشير هنا الى المحاولات المتكررة لتسميم ابار الحوار والعيش المشترك والى محاولات هدم المعبد الدائبة على الاسلام والغرب المستنير الساعي الى الاستفادة مما يطرحه الشرق من حضارة وثقافة وفكر واعتقاد والساعي الى تبادل الحضارات والتقائها وتكاملها وتواصلها ، لخير البشرية وهي تجتاز عتبة الالف الثالثة في تاريخها الانساني ، وقد تسلحت باكثر من سلاح حضاري وثقافي وانفتاح وتسامح .

لقد شهد الصراع الاسلامي الغربي كثيرا من المد والجزر كما شهد فصولا من الانتصارات والانكسارات وكثيرا من الدماء البريئة التي سالت في كل مرة يجيش فيها الغرب جيوشه ومني بهزيمة كان يزداد العداء فيها للاسلام والمسلمين .

وقد امن الغرب وبعد قيام الامبراطورية الاسلامية بان المسلمين هم الخطر الجديد الذي بات يهدد اوروبا المسيحية ومن ثم اختزلت اوروبا الصراع التاريخي بينها وبين اوراسيا ليكون صراعا بين اوروبا والاسلام في صور لاحقة .

يقول الكاتب توماس ماستناك في كتابه " الاسلام وخلق الهوية الاوروبية " ان تشكيل اوروبا الجماعي لم يبدأ بالغزو الاسلامي لاوروبا بل بدأ حين شن المسيحيون اللاتينيون حربهم المقدسة ضد الاسلام والمسلمين وذلك بعد قيام الاسلام باربعة قرون ، هذه الحروب شكلت لاوروبا هويتها الجماعية حين بدأ الاتحاد الغربي الاول ." ويصل الكاتب الى قناعة بان الحروب الصليبية كانت ضرورية لاوروبا لانها كانت متنفسا للعنف الذي اجتاح الجماعة المسيحية في اوروبا والوحدة الاوروبية شرط لخوض الحروب المقدسة ضد اعداء الصليب ، ومن ثم كان من الضروري ان تواجه اوروبا اعداءها ، وفيما كان هؤلاء الاعداء في الداخل هم من الكفار والهراطقة ودعاة الانشقاق والمتوحشين ، فان هؤلاء الاعداء تم دمجهم وصهرهم في عدو واحد من بين جميع الاعداء الممكنين ، هذا العدو الذي توجهوا اليه بعدائهم هو الاسلام .

وكـانت الحـروب الصـليبـيـة التي شنهـا الاوروبيـون بمبـاركـة من الكنيسـة وباباواتهـا الذيـن نجحـوا في تجمـيع الاوروبـيين لتخليص وتحـرير القبـر المقـدس من الامم الـوسـخـة " على حـد تعبيـر البـابا اوربان الثاني واستمـرار هذه النظـرة الى الاسلام والمسلمين ردحا من الزمن .

ومن ثم اصبح العداء للاسلام والمسلمين اساس الهوية الاوروبية وهو الذي جمـع شتـات اوروبا الغـربيـة في مـواجهـتهـا على مـدار التـاريخ الانسـانـي وبعـد ان اعـيت اوروبا الحـيل وفـشلـت جـمـيع حـملاتهـا العـسكـرية ، لسلب بيت المقـدس فـيمـا عـرف بالحـروب الصليبـيـة اطلق الراهـب " سـان بيـيـر " في القـرن الثـاني عـشـر مشروعـه السلمي لتوحيـد اوروبا باقامـة السلم في اوروبا وتحـويل الحروب المتصلة فيما بين امـرائها الى حـرب ابدية ضد الكفار وهم المسلمـون. الذي يقـوم على خـيـارين في كيـفـيـة التـعـامـل مع المسلمين وعـالمهم الاسـلامي الاول يـتلخـص فـي دمج المسلمين في اتحـاد السـلم الاوروبي حيث ان الاتصـال باوروبا يؤدي الى تـقـويض الاسلام وتمهيـد السبيل امـام المسيحيـة كديـانة عالمية من تحقـيق هيـمنـة الثقـافة الاوروبيـة على البـلاد الاسلامية التـي سـوف يعـاد صياغتها مرة اخرى لتتماشى مع المعايير الاوروبية .

والثـانـي يتلخص في توجـيـه اوروبا حـملة صليبـيـة شـامـلة ضد الوجود الاسلامي في كل مكان .ولم يكن غريبـا ان يصدر عن فولتير . وهو احـد رواد التـنوير الاوروبيـين ورمـزهم الاكبـر رايا عكس نظرة الاوروبيين الـى الاسـلام والمسلمين حين وجـه رسـالة الى الملكة

كاترين الثانية قيصرة روسيا . انذاك . " كنت اتمنى لو كنت قادرا على مساعدتك على الاقل بقتل حفنة من الاتراك . والاتراك هنا لفظة مرادفة لكلمة المسلمين ..

وسوف اسقط هنا في هذا الاستعراض ماقام به الاستشراق في مرحلته الثأرية التي تشكلت منذ عصر الاكتشافات الجغرافية حيث شهدت علاقات الاسلام بالغرب العديد من الصدامات السياسية العسكرية والتي لعب فيها الدين دور القيادة . حروب الاسترجاع في الاندلس. الحروب الصليبية في بلاد الشام ومصر والتي طغى عليها مفهوم الثأر بين المسلمين والتي ترافقت معها سلسلة من التدابير الميدانية من مقاطعة اقتصادية وقرصنة بحرية وتحريم التعامل مع المسلمين وتحريض على حمل السلاح وقتل المسلمين حيث شكلت النصوص الكنسية الثارية نواة ايديولوجية سيطرت على التفكير العقلي عند الاوروبين واستمرار هذا التفكير والسلوك الثاري على تفكير وسلوك المستشرقين الذي كان المحرض الاساسي على استمرار روح الاستعداء للشرق الاسلامي سواء بتشويه صورة الاسلام عن قصد او عن غير قصد واظهار الاسلام بما ليس فيه واستمرار الاستشراق لنهاية القرن الثامن عشر اسير تصوراته ومفاهيمه الثارية التي لم تهدأ الا حين تراجع الاستشراق الى مرحلة جديدة وتحول الثار والانتقام الى الاستيلاء والغلبة وبدا النظر الاستعلائي الى الاسلام والمسلمين وتحول من نظرة العدو. الند للند . الى نظرة العدو الدوني. الاقل تقدما ورقيا من اوروبا بسبب ذلك الفارق

الثـقـافي والحـضـاري الذي حـقـقـه الغـرب على حـسـاب سنوات الانحطاط الاسلامي. والذي تسبب فيه الاحـتـلال والتـبـعـيـة للغرب بفعل الاستعمار والتخلف الذي تسبب فيه للمسلمين. فـهـذا كله مـعـروف ومعلوم للجـمـيـع لكني فـقط اتجاوز هـذا كله وانتقل الى مرحلة جديدة نعيشها اليوم لندرك ان التاريخ يعيد نفسه ، وان المفاهيم لم تتغير ، والذي تغير فقط هو الاسلوب والسياسة والادوات ، وذلك لتناسب روح العصر الذي نعيش فيه .

كمـا يجب ان لا ننسى تاثيـرات الصـورة النمطيـة المزيفـة عن الاسلام والعرب ، وعلى الرغم من تعامل الغرب مع المسلمين خلال فترات حروبهم ونقلهم لكثير من الامور المتقدمة التي ماكانت تعرفها اوروبا من بلاد الشرق المسلم .

ومع حلول العصر الحديث كانت قوة المسلمين بقيادة العثمانيين تدك معاقل اوروبا حتى وصل السلطان محمد الفاتح الى قلب اوروبا وادى ذلك الى تعميق الشعور الغربي بان الاسلام يمثل تهديدا خطيرا لوجوده وكينونته .

هذه الصورة النمطية او الجديدة التي انطبعت في اذهان الغرب المستعمر وافكاره هي التي تسيطر على كافة الغرب الساعي الى الصدام والصراع ليحقق رغبته في الهيمنة والسيطرة والتي تشكل الى حد كبير سلوكه تجاه الاخر والحوار معه وكذلك التعايش معه .ولكي ندلل على ذلك فاني سوف اختار النموذج الفرنسي للتعرف على موقف فرنسا من الاسلام والمسلمين وسوف نلحظ ان الفرنسيين لم يتمكنوا من تطوير اساس سليم وواقعي

لعلاقاتهم بالاسلام والمسلمين. على حد قول الاستاذ امير طاهري الذي يلخص موقف الفرنسيين في النقاط التالية :

●● الاسلام خطر ، فقبل كل شيء لو لم يهزم المسلمون في معركة بواتييه لربما كانت اوروبا بكاملها قد اعتنقت الاسلام ، والاسلام يهدد الغرب اليوم بسلاح سكاني مثل الارهاب ويقول فيليب دي فيليير احد كبار البرلمانين الفرنسيين " اننا لا نريد ان تصبح فرنسا جمهورية اسلامية ".

●● الاسلام هو الرسالة المعادية للحضارة الغربية كما تصورها مشاهد الملتحين في كثير من بلدان العالم الاسلامي ويدللون على ذلك بصور الملتحين في طهران وجنوب لبنان وفي هذا يحذر جورج سوفير المعلق السياسي الشهير بقوله " يجب اعتبار الاسلام التحدي الايديولوجي الجديد للغرب بالطريقة نفسها التي كانت الشيوعية التي ماتت الان في ايام ازدهارها ".

ثم يمسك السيد : فريد هاليداي الباحث البريطاني المهتم بشئون الاسلام والمسلمين بذات الخيط فيقول : " اذا كانت مشاعر العداء للمسلمين لم تبرز كظاهرة عامة في الهند والبلقان ، الا متاخرا نسبيا أي منذ اواسط الثمانينات فلايمكن القول ان الامر نفسه ينطبق على الدول المتطورة في الغرب ، أي اوروبا والولايات المتحدة ، فقد سادت تلك البلدان منذ زمن بعيد اشكال من ذلك العداء الى حد سهل على المعلقين على الظاهرة ان يكتبوا عنها باعتبارها نتيجة لعداء ديني حضاري كامن في المسيحية الغربية لا يعود فقط الى مرحلة الاستعمار " وظاهرة الاستشراق التي

رافقته " بل الى المواجهات الاقدم من الهجمات العثمانية على اوروبا في القرن السابع عشر الميلادي والحروب الصليبية قبلها بل حتى نجاح اوروبا في صد الهجمات الاسلامية الاولى في القرن الثامن الميلادي وبدا للمسلمين كما لغيرهم ان هذا الموقف العدائي متاصل في العالم الغرب وان ظواهره الحالية ليست الا فصولا جديدة من القصة نفسها بما يبدو فيها من تواصل.

ويضيف في موضع اخر بقوله :" ولا تقتصر هذه التطورات على اوروبا فقد اصبح العداء للاسلام في الولايات المتحدة عنصرا لا يمكن تجاهله في الخطاب السياسي كما ان العداء اياه يمثل الركن الرئيسي في نهضة اليمين الهندوسي الشوفيني في الهند ، وفي اكثرالاحيان تسود خطاب المعاداة للاسلام نبرة التخويف ويضم عناصر اضافية مثل العنصرية وكره الاجانب والصورة الكاريكاتورية المكررة لذلك الاخر " المسلم ".وبالنسبة لاوروبا فان العداء الاستراتيجي للمسلمين كان موجودا بالتاكيد بسبب قربها من العالم الاسلامي وايضا لان اوروبا في احيان كثيرة تتبع " الموضة الاستراتيجية " الامريكية وقد كتب السير الفريدشيرمان المستشار الخاص لرئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر مقالة في العام ١٩٩٣ م بعنوان " الانطلاقة الاسلامية الجديدة الى داخل اوروبا " قال فيها : ان هناك تهديدا اسلاميا لاوروبا المسيحية ، انه سيتطور ببطء ولا يزال بالامكان وقفه ، لكن سياسات القوى الاوروبية تفعل كل مايمكن لتغذيته والعناصر التي خلقت التهديد هي كما ذكرها :

■■ سياسات الهجرة غير المسئولة في غرب ووسط اوروبا التي خلقت بسرعة اقلية مسلمة متزايدة التشدد مكونة من ١٥ مليون نسمة .

■■ عزل تركيا من اقبل المجموعة الاوربية التي رفضت جهود تركيا المخلصة للانضمام الى المجموعة الاوروبية مما اجبرها على التوجه الى العالم الاسلامي الذي كانت تريد الهروب منه .

■■ سياسة المانيا العدوانية في البلقان التي هدفت الى تفكيك يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا واخضاع الصرب . واشير في هذا الصدد الى الحرب التي تعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك والمجازر التي تسامعنا عنها وافرزت الوضع الماساوي الجديد لمسلميها ومنع اوروبا من قيام جمهورية اسلامية مستقلة في غرب اوروبا .

في ذات الاتجاه تكتب كلير هولينجورث وهي مراسلة عسكرية بريطانية سابقة مقالة عنونتها بكلمات لا تخفي مقاصدها " مذهب تسلطي اخر " يحاول التسلل الى الغرب " والذي قالت فيه ان الاصولية الاسلامية تصبح بسرعة التهديد الرئيسي لسلام وامن العالم وايضا سببا للاضطرابات وعلى الاصعدة الوطنية من خلال الارهاب ، انه خطر مشابه لخطر النازية والفاشية في الثلاثينيات والشيوعية في الخمسينات .

وبعد .. فهذا قليل من كثير يطفح بالحقد والرغبة في اشعال المزيد من النار وصب الزيت عليها ، حتى تظل نارها متاججة ، وجذوتها متوقدة ، فهم دائما يشككون في النوايا ويسعون الى

الحط من قدر الاخر ، واللجوء الى التخويف منه ومن شره وارهابه ، او تعريته من كل فضيلة والصاق كل نقيصة به ولكنها كما نعرف محاولات مستميته للنيل من الاسلام والمسلمين وتعكس في ذات الوقت مدى مايسببه الاسلام من قلق وهاجس قوي يعملون على حصاره ومنازلته والصدام معه تحت شعارات عديدة براقة ترتدي ثوب الحوار ، لكنه أي حوار ، خاصة وبعد ان رأوا الانتشار السريع للاسلام ، واقبال الغرب على التعرف عليه خاصة بعد احداث سبتمبر ٢٠٠١ ، والتي كانت الشرارة التي اطلقت اقبال الامريكيين والغربيين على الدخول فيه افواجا ، والى الترحيب بدعوته ، الامر الذي ازعج قادة الغرب ، والولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت لا تقدر على اخفاء حقدها على الاسلام ودعوته وبخاصة اليمين الذي يحكم الان .

وهل انصف الغرب الاسلام ؟

يخطيء من يتصور انني بطرح هذه القضية اشيد جسورا من العداء او الاستعداء السياسي او العقيدي او حتى الفكري ، بين المسلمين والغرب ، او ان ينظر البعض الى طرحي هذا على انه نوع من التحريض لكل اسلامي ضد كل ماهو غير اسلامي ، انني باستعراضي هذا لتاريخ العلاقات الاسلامية .الغربية لا اصب الزيت على النار المشتعلة اصلا في جنبات الكون من حولنا وذلك حين تناولت عبر سلسلة هذه المقالات التي ا نشرها فالقصد هو تكامل الحضارات بعيدا عن الصراع والتصادم .

هذه التوطئة ليست دفاعا عن اتهام لم اسمع به ، كما انها ليست درءا لمظنة اريأ بها عن نفسي . لكني فقط أدعو. وقد سعيت. الى نبذ الصراع الحضاري وكل مايقرب اليه من قول او فعل او عمل ، واحلال الحوار الحضاري بديلا عن هذا الصراع ، او شجب. جريا على عادة السياسيين من ابناء جلدتنا . كل مقدمات للصراع او استنفار له او تشجيع عليه .

هذه اشارة اراها ضرورية ، لاراحة كل من يحاول ان يتصيد او يغوي او يحرض ضد كلماتي وخشية ان تترك كلماتي هذه وان تفهم على غير ما اردت ، وان تقتلع من سياقها وان تحمل بما لا تحمل او تطيق او اطيق انا ، كما اخشى ان اقع فريسة هذا الخوف الذي حذرت منه سواء كان خوفا حقيقيا او مصطنعا ، مثل ذلك الخوف الذي ابتدعه الغرب بديلا للكراهية التي ظل يكنها للاسلام ولكل ماهو اسلامي .

ثم نعود الى السؤال الذي طرحناه انفا ، وهل انصف الغرب الاسلام حقا ؟

واعتقد ان الجواب لا ياتي الان واضحا حيث تحجبه بعض سحب الضباب التي يجب ان نبددها وان نزيل عنها غشاوتها اولا وقبل كل شيء .

ان استعراضا سريعا لموقف الغرب من الاسلام سوف يبين بشكل لا يدع مجالا للشك ان الغرب لم ينصف الاسلام بل على العكس من ذلك تماما لقد ساهم الغرب نفسه في تشييد جدار سميك من الكراهية والعداء منذ ان ظهرت دعوة الاسلام ، ولكل ماهو اسلامي ،كما ان الغرب سعى ومنذ اكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان الى التصادم مع الاسلام ومنازلته ومحاولة النيل منه .

ولقد سلك الغرب في سبيل ذلك كل الوسائل من مشروعة وغير مشروعة فجرب الصراع الدموي تارة ، وتارة اخرى بالاستشراق والحرب الباردة والاحتواء وهاهو يعود مرة اخرى الى اجواء الحرب الباردة والساخنة حين بدا ان الغرب يفكر في المصالحة

وبدء حوار يعتمد على المعلومة عن الاخر المجهول لديه ،وسلك طريق لاستشراق الذ كان وسيلة الرد على التحدي الالامي .

" ذلك ان الحركة الاستشراقية لم تطلق بقرار وانما انطلقت للرد على تحديات وفي سياق الصدام مع الاسلام وهي في هذا السياق تطورت تاريخيا ضمن اليات تجاذب الانا والاخر وكان الانا (الاوروبي الغربي) دائما هو الارقى والافضل .

ولعلنا نبادر فنقول ان الاستشراق كحركة ينقسم الى فترتين كبيرتين اولاهما تنتمي الى ماقبل عصر الاكتشافات الجغرافية وتهبط نزولا الى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، والتي نشات خلاله حالة العداء الذي ترجمته الكنيسة الى نصوص تدعو الى تحريم التعامل مع المسلمين والتحريض على حمل السلاح وقتل المسلم " وشكلت النصوص الكنسية الثارية هذه نواة ايديولوجية سيطرت على التفكير العقلي عند الاوروبيين .

وثانيهما تبدأ من القرن الخامس شعر الى وقتنا هذا حيث لم تسقط عقلية الثار من نظريات الاستشراق المعاصر بل ظلت هذه التاثيرات ممتدة دون انقطاع ومع اختلاف في الوسائل والادوات .

وعلى الرغم من انصاف كثير من مفكري العرب والمسلمين لجهود بعض المتسشرقين وبعض تيارات الاستشراق الا ان الاستشراق بوجه عام ، تجنى كثيرا على الاسلام ولم يكن منصفا معه ، والقائمة تحوي الكثير مما اصاب الاسلام من جراء ماتركه المستشرقون من اثار وماورثه ابناؤه منهم والذي يفعل فعله معهم وبهم .

لقد وضع الاستشراق. جل المستشرقين. بذور العداء في تربة العلاقات الاسلامية الغربية وهي اكثر من ان تحصى :

●● لقد املت اجتهادات المستشرقين في محاولاتهم التعرف على احوال وعادات وتقاليد الشعوب العربية الاسلامية. املت هذه الاجتهادات التي لم تتخلص نهائيا من العقلية الثارية. فكرا استعلائيا عنصريا شكك في نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والافتراء على سيرته وتاويل النصوص كيفيا واحيانا تحريفها اما بسبب قلة المعرفة او انطلاقا من فرضيات استنتاجية خاطئة .

●● لم ينس المستشرقون اطلاق تفسيرات عشوائية للقران الكريم وتاريخ الاسلام ، وحشر كتبهم بافتراءات عديدة على القران الكريم كما لم يتورع البعض منهم عن تزوير معاني القران الكريم واستبدال كلمات بغيرها والادهى من ذلك ان بقيت هذه المزورات مراجع رسمية في كبرى الجامعات الاوروبية ومراكز البحث العلمي والاكاديمي يرجع اليها الباحثون الجدد كلما ارادوا .

●● لجوء البعض من الرحالة وبعثات التبشير الى اساليب خاصة وسلوكيات ادت الى نشوء نوع من الاستشراق السياسي ، ادت بها الى ان تكون بدايات استعمار سياسي وعسكري لدول الشرق العربي وغيرها من بلاد العرب والاسلام ، حيث عمل الاستعمار على الغاء هوية لبلاد الثقافية ، وتحطيم لغتها الاصلية وتدمير تاريخها والنماذج كثيرة ، ومعروفة ولقد كان من نتائج ذلك ايضا ، تغيير مناهج التربية والتعليم في بلدان كبلدان

المغرب العربي على سبيل المثال ، بهدف تغيير العادات والتقاليد ، وتغيير العقيدة . ان قدروا

ولادراك اهميـة وخطورة ماحدث على المستوى الفكري والثقافي فانه بين العام ١٨٠٠ م ، الى العام ١٩٥٠ م ، وخلال اقل من مائة وخمسين عاما صدرت اكثر من ٦٠ الف دراسة عن الاسلام وردت فيها الكثير من الافتراءات والتاويلات العشوائية لمنزلة الدعوة الاسلامية ونهوض الاسلام .

واعتقد ان هذا كان كافيا جدا لاعادة شحن وتحريض الغرب ، كل الغرب ضد الاسلام وضد كل ماهو اسلامي ، اضافة الى ماساهم به بعض ممن انتسبوا الى الاسلام زورا وبهتانا ، وقدموا بتصرفاتهم الخرقاء دليلا على صحة دعاوي الغرب ومستشرقيهم حول الاسلام والمسلمين وهم منه براء .

ان القراءة المتانية لاثار المستشرقين القدامى منهم والمحدثين ، وكذلك لاراء وكتابات كثير من المحللين السياسيين والاجتماعيين والمفكرين في الغرب وكذلك بعض الساسة والقادة العسكريين في اوروبا وامريكا ليست سوى دعوة الى العودة الى نغمة الحرب الباردة ، واعطاء وصفة تحريضية لصانعي القرار السياسي والعسكري الامريكي والاوروبي لضمان انتصار الغرب ، اضافة الى فتح جبهة حرب مع الاسلام عن طريق تدوير الحرب الباردة مرة اخرى ، او اشعال حرب ساخنة جديدة ، تشبه الى حد كبير الحروب الصليبية

ولعلنا في استعراضنا لاحدى طروحات الغرب والتي عرضها

صامويل هانتجتون والتي عنونها " صراع الحضارات " سيرا على خطى سلفه " لويس برنارد " الذي استخدم نفس التعابير والتي يستعدي فيها الغرب على الاسلام وبالذات الولايات المتحدة الامريكية ويعرض للغربيين كيف ان الخطر القائم على امريكا هو الخطر الاسلامي حيث يرى ضرورة تجاوز تقسيم العالم ايديولوجيا الى عالم اول وثان وثالث ، فمرحلة مابعد الحرب الباردة تتطلب تقسيما مختلفا لتاكيد الهوية الثقافية قبل المتطلبات الاقتصادية او الاعتبارات الايديولوجية ذات الطبيعة الشمولية الاممية ويرى ان هذه الهوية تحددها عناصر موضوعية مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات أي بالتحديد مايؤكد ذاتية وخصوصية الامم .

وهو يقسم العالم الى سبع او ثماني حضارات كبرى هي الحضارة الغربية والكونفوشية واليابانية والاسلامية والهندية والسلافية الارثوذكسية والامريكية اللاتينية وربما الافريقية ، ويرى ان صدام الحضارات سيحدث مستقبلا عند نقاط التقاطع و خطوط التقاء الحضارات ويحدد اسباب الصدام الذي سوف يجري بين الحضارات في الاسباب الاتية :

●● ان الفروق بين الحضارات هي فروق اساسية بسبب تميزها عن بعضها بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والاهم الدين ، مما يجعلهم يفكرون في العلاقات بين الله والانسان والفرد والمجموعة والمواطن والدولة والابناء والاباء والزوج والزوجة مختلفة ، وكذلك هي اراء حول الحقوق و المسئوليات والحريات والسلطات والمساواة

وغيرها وكل هذه عناصر للتوتر والاختلاف .

×× ان العالم اصبح مكانا اصغر والتفاعل والاحتكاك بين شعوب هذه الحضارات المختلفة في تزايد مما سيزيد بالضرورة احتمالات الاحتكاك فالصدام .

●● ان عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي ، في كل انحاء العالم تفصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة والراسخة كما انها تضعف الدولة . الامة كمصدر للهوية ، . ومن ثم تولد تذمرا متزايدا بين فئات الشباب تظهر في شكل حركات اصولية كما هو مشاهد اليوم .

●● يتعذر نمو الوعي بالحضارة نتيجة للدور المزدوج للغرب ، فالغرب من ناحية في اوج قوته ، بيد انه في الوقت نفسه ، وربما نتيجة ذلك ثمة ظاهرة تتمثل في العودة الى الجذور بين الحضارات غير الغربية ، ذلك ان الغرب في تقديمه لحضارته باعتبارها الحضارة الانسانية رغم اوروبيتها الجذرية يجعل العديد من الحضارات تجد في الاختلاف تاكيدا لهويتها وذاتيتها .

×× ان الخصائص والفروق الثقافية اقل قابلية للتبديل ، ومن ثم اقل قابلية للحلول الوسط والتسويات من نظيراتها السياسية والاقتصادية .

●● النزعة الاقليمية الاقتصادية اخذة في الزيادة فمعدلات التجارة الاقليمية الاجمالية اخذة في ازدياد .

ثم لعلي بعد هذا الاستعراض السريع لافكار هانتنجتون يتضح لنا ان الربط بين مقولاته وبين ماتنشره الصحف اليومية

من مقولات لساسة والقادة والمفكرين الغربيين يؤكد ان الغرب ينظر بريبة الى الاسلام والى الحضارة الاسلامية وانه يعد نفسه لصراع طويل وليس الى حوار .

فالهندسة التاريخية التي طرحها هانتنجتون وهو الذي يشغل منصب مدير مكتب الشئون الدولية في جامعة هارفارد الامريكية والتي قصد بها التدخل في عملية تكوين الفرد الامريكي بحيث ينتج انطباعا زائفا مفاده ان الاتحاد السوفيتي كان يمثل الخصم الذي كان يقاتله الغرب الامريكي ومن ثم طرح فكرة (شيطنة العدو) وتوجيهها ضد العالم الاسلامي باسره خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشيوعي باكمله باعتبار ان الاسلام هو البديل .

ومن ثم اصبح الاسلام والعالم الاسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الاعلام الان " شيطنة العدو " أي تحويل العرب والمسلمين وبلا استثناء الى شياطين يجب توجيه الغرب اليهم للقضاء عليهم تخليصا للبشرية من شرورهم بعد دفن الخطر الشيوعي الذي ظل يهدد العالم الحر حيث اكتشفت الولايات المتحدة الامريكية ودول الغرب نشوء فراغ عقائدي سياسي لا يتماشى وايديولوجيتها القائمةعلى اختراع عدو دائم ، يستخدم في الداخل والخارج لتمرير السياسات وتبرير المطامع وحيث وجدت نفسها فجأة بدون مقدمات ، بدون عدو وتصاعد الاصوات المنادية بضرورة ملء هذا الفراغ والى ضرورة خلق عدو مناسب مع الاشارة الى ان يكون الاسلام هو هذا العدو البديل والمحتمل

للمواجهة .

يحدث هذا بينما يشتد تركيز الاعلام الغربي والامريكي واصراره على المزاوجة التلقائية التي تقرن الاسلام بالارهاب على ايدي كثير من المستشرقين او الباحثين الغربيين امثال " لويس برنارد . وفؤاد عجمي وجو جروس وغيرهم .."

ولعلي لا اجد مااختم به هذا الفصل ، سوى الدعوة الى الاعتراف بان التباين بين الاشياء والامور والاناسي والانظمة والدول والحضارات والامم والشعوب والقبائل والقوى والاحزاب الاجتماعية والسياسية والافراد هي ظاهرة طبيعية وانسانية ، ولكل اشكال الصراع ولا يلجأ الى دفعها الى حافة الهاوية سوى القوى العمياء المدمرة .

واعترف ايضا بان المسلمين يرون انه ضرب من الجنون ان يلجأ البعض الى تحويل العالم الى ميدان حرب تحل فيه مشاكله بالتعامل العنيف والمدمر لان في هذا هلاكهم وان المسلمين يرون ان عليهم نشدان صيغ انسانية لحل هذه القضايا المتنازع عليها بشكل اقرب الى صورة الخير والسلامة التي يجدر بالمسلمين ان يكونو خير ممثل لها في هذا العصر .

فما بين صيغة اسلام تقابلي متصلب عنيف وبين صيغة اسلام رحيم طيب وكريم وضع في ميزان الاختيار كطرف في مواجهة او حوار فانه لا يمكن للعقل السليم الا ان يختار الصيغة الثانية ، واعتقد ايضا انها اختيار الجمهور الاعظم من شعوب الاسلام . فالمسلمون يرون ان علاقتهم بالحضارات الاخرى هي علاقة

تواصل وتفـاعل وحوار وتكامل ، فمـا يزال الاسلام يثبت كل يوم على ان الحوار فضلية اسلامية ، وعلى من يشكك في هذا ان يعود الى كلمات القران الكريم ، كتاب المسلمين المنزل الاول والاوحد ، الذي يدعـوهم الى الحـوار والى التـدافع بالحـسنى والجـدال بالحـسنى وغير ذلك كثير مما تؤكده سنة نبي الاسلام الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

من يخيف من .. ؟
هل يخاف الغرب من الاسلام ..

رغم تسليمي بعدم جوازية وضع الاسلام في مواجهة الغرب ، او ان يكون الاسلام مناقضا او مرادفا سلبيا للغرب المسيحي او المسيحية الغربية او ان يتواجه الاسلام كدين وعقيدة وشريعة مع مناظر لا يساويه او اخر مغاير له في الماهية والكينونة .

ولعل السؤال . الاسئلة . المنطقي الذي يطرح نفسه الان هو :

هل المقصود بالاسلام الدين الاسلامي ، ام الشرق الاسلامي ام المسلمين عامة ، ايا كانت اعراقهم واجناسهم ولغاتهم ؟

وهل المقصود بالغرب ، الدين المسيحي ، ام المسيحية الغربية ، ام اوروبا المسيحية او امريكا المسيحية ؟وهل بالمقصود باي منهما مرحلة معينة في تاريخ كل منهما ام بمرحلة صراع معينة .؟

ان الصياغة التي تمت باختزال مايعنيه الاسلام والمسلمين في كلمة ، واختزال الغرب ليحل محل ما اصطلح الغرب المسيحي على تسميته بالغرب ، ليكون الاخر في مواجهة الاسلام .

ورغم تسليمي بان اشكالية الاسلام في مواجهة الغرب ، بحاجة الى تصحيح والى اعادة صياغة ، لكني سوف اتجاوز هذا كله ، لكي اصل الى لب الموضوع الذي طرحت اسئلته لكي اجيب عليها ، وان لم استطع .

فلعلي اكون قد اشرت الى الاجابة التي حتما سوف يستنتجها القارىء من خلال ماسوف اطرحه واميط عنه اللثام ، حين استعرض مراحل مواجهة الاسلام والغرب ، او بمعنى اخرى ، مراحل التقاء الغرب المسيحي بالاسلام ، والتي مرت عبر عدة مراحل ، كما حددها واشار اليها الدكتور ابو بكر باقادر ، الباحث الاسلامي المعروف بابحاثه عن علاقة الاسلام بالغرب ، واضفت اليها واحدا ، لكي استكمل هذه المراحل منذ ان ظهر الاسلام قبل خمسة عشر قرنا من الزمان :

المواجهة الاولى : وهي التي بدأت منذ ظهور الاسلام حتى بداية القرن الثاني عشر ، وفي هذه المرحلة عرف الاسلام اليهودية والمسيحية الشرقية وساجلهما ، ثم مرحلة الفتوحات الاسلامية المبكرة ، والتي شملت بلادا كانت تعيش فيها مذاهب مسيحية مختلفة ، ولقد استقبل اهلها الاسلام في احيان كثيرة كمنقذ لها من مستبديها .

ولقد تمكن الاسلام منذ القرن الثامن الميلادي الوصول الى اطراف اوروبا في اسبانيا وجنوب أيطاليا وتوسع في بعض اجزاء اوروبا ، ومع ذلك ظل الغرب جاهلا بالاسلام ، لجهله وتخلفه كمجتمع وحضارة ، وفي الواقع فان الاسلام تمكن في هذه المرحلة

من فتح اجزاء كبيرة من المناطق المتحضرة ، التي سادت وانتشرت فيها المسيحية كما في بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا واجزاء كثيرة من اسيا الوسطى .

ولقد اسفرت المواجهة في هذه المرحلة عن جهل الغرب ماهية الاسلام ولم يكن يملك . انذاك . من الوسائل مايمكنه من التعرف على الاسلام وبالعكس تمكن الاسلام من الوصول الى الغرب بفتوحاته وكان من الواضح تفوق الاسلام على الغرب (ولقد شكل هذا الفعل كثيرا من سلوكيات الغرب وسياساته تجاه الاسلام والشرق الاسلامي بشكل عام).

المواجهة الثانية : وهي التي تمت خلال الحروب الصليبية (في القرن الثاني عشر وامتدت الى القرن الخامس عشر) وهذه المواجهة تولد عنها اكثر من رؤية من طرف الغرب للاسلام ، والعالم الاسلامي منها رؤية شعبية بسيطة تعتمد الكراهية وتغذيها وتؤكد على رفض الاسلام بوصفه دينا مزيفا ونقيضا للمسيحية ، وقد تمكن المتحمسين من رجال الدين المسيحي من " تجييش الغرب " للانطلاق في شكل جيوش للانقضاض على العالم الاسلامي بما عرف بالحروب الصليبية ، التي خلفت الكثير من العداوات والافعال وردود الافعال التي ظلت تحكم العلاقة بين العالم الاسلامي والغرب ولعدة قرون تلت .

المواجهة الثالثة : وهي تلك التي حدثت في عصر النهضة او عنصر التنوير في اوروبا الحديثة ، والتي اتبعتها باوروبا الامبريالية الاستعمارية وهي فترة امتدت من القرن الخامس عشر

الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر " وفي هذه الحقبة مرت اوروبا بتحولات داخلية سريعة ومهمة ، مكنتها من التطور والافادة من العلوم والافكار الموجودة في العالم الاسلامي وغيره ، ودخلت في عملية اعادة بناء واصلاح داخلي ادى الى احداث اصلاحات جوهرية في بنيتها الاساسية والاجتماعية والدينية حيث بدأ التفوق الاوروبي الذي كان واضحا ومتفوقا على غيره من الحضارات بل انتهى الامر الى تسييد الغرب وتمكنه من حكم اجزاء كثيرة من العالم .

في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ومنذ بداية القرن التاسع عشر ، وفي المقابل كان العالم الاسلامي وهو الذي كان يعاني من الجمود والانحطاط يعيش على افكار تؤكد تفوقه في مواجهة الاخر ولقد ادى هذا التطور الغربي المذهل الى هيمنة الغرب على العالم ، ومن بينه العالم الاسلامي ، الى ان تمكن من استعماره ، والسيطرة عليه فترة من الزمن عرفت بعصر الاستعمار الكولونيالي .

المواجهة الرابعة : وهي تلك التي نعيشها الان والتي بدات منذ بداية القرن العشرين ، والتي توجها صعود الفكر الاستشراقي الذي رافقه تفوق غربي تقني عسكري وسياسي ، خلف هيمنة غربية على بلاد العالم وشعوبه ، ثم ظهور الفكر الشيوعي الاشتراكي ونشأة الحرب الباردة ، التي كان من ضحاياها شعوب العالم الاسلامي والعربي ، وبداية مرحلة الاستقطاب السياسي والعقيدي ، بين شرق شيوعي وغرب علماني وتبلغ الدوامة

السياسية اوجها بانهيار الشيوعية والفكر الماركسي في تسعينات القرن العشرين ، وانتهاء بانهيار المنظمة الشيوعية الدولية وتحقيق الراسمالية الغربية انتصارا كاسحا ،لم يكن متوقعا او محسوبا ، ونشوء مرحلة النظام العالمي الجديد واكتشاف الغرب بشكل عام نشوء فراغ عقائدي وسياسي لا يتماشى مع ايديولوجيته القائمة على اختراع عدو دائم ، يستخدم في الداخل والخارج لتمرير السياسات وتبرير المطامع الاستعمارية ، ومن ثم وجد الغرب نفسه بالعدو ومن ثم ايضا نشأت الدعوات التي تدعو الى خلق عدو مناسب بعد سقوط العدو الاحمر في اشارة واضحة الى خلق مناخ عدائي ضد الاخضر " الاسلام " ، او استبدال النموذج الاسلامي ليكون العدو البديل للعدو الاحمر الذي نفق ومن ثم نشأت الحاجة الى تضخيم الخطر القادم من الشرق الذي يرتدي عباءة الاسلام وتبرير هذا الاستعداء بالخوف منه .

ومن ثم راح الاعلام الغربي يمارس هوايته الغريبة في ابتكار عملية "نمذجة " او " قولبة سلبية " اذا جاز التعبير ضد العالم الاسلامي والعرب والتي ترقى الى مستوى محاولة الاغتيال الجماعي للشخصية العربية والاسلامية وتخويف الغرب من الاسلام لدرجة تصل الى " شيطنة " العالم الاسلامي والعرب والعزف على وتر هذا الخوف لخلق الارضية المناسبة التي تبرر أي سلوك عدواني محتمل يمارسه الغرب المسيحي ضد الاسلام وشعوبه .لقد ساهم المستشرقون والاستشراق بصفة عامة ، وعلى اختلاف مدارسه واصوله وتوجهاته في تغذية هذا الاتجاه الغربي

نحو قولبة العالم الاسلامي وتشجيع هذا الخوف الغير مبرر من الاسلام بسبب جهل الغرب بالاسلام والمسلمين .

لقد خلق الاستشراق العديد من الصور السلبية عن الاسلام والمسلمين والتي يلخص بعضها الدكتور مصطفى السباعي في مصنفه " السنة ومكانتها من التشريع الاسلامي " فيقول :" سوء الظن وسوء الفهم لما يتصل بالاسلام واهدافه ومقاصده ، وسوء الظن بعلمائه وتصوير المجتمع الاسلامي في مختلف العصور وبخاصة العصر الاول بصورة الانانية والتفكك بين قادته والتهوين من شأن الحضارة الاسلامية واحقار اثارها ومساهماتها الانسانية ، واخضاع النصوص الاسلامية للفكرة الاستشراقية وفق اهواء المستشرقين وتحريف النصوص في بعض الاحيان ، تحريفا مقصودا لخلق جو من الشك والبلبلبة حولها ، والخلط في تقييم المصادر التي ينقلون عنها فهم ينقلون مثلا عن كتب الادب مايحكمون به على الاحاديث النبوية وينقلون عن كتب التاريخ مايحكمون به على التشريع والفقه ، فنرى بعض المستشرقين يعرض عن النصوص الثابتة ليأتي بنصوص ملفقة من الف ليلة وليلة وكتاب الاغاني وماشابه ذلك "

ولقد عبر امين عام حلف الناتو " الحلف الاطلسي " ويلي كلاس عن مكنونات الغرب في مقولته التي صرح بها قبل مغادرته سكرتارية الحلف بعد اكتشاف فضيحة مالية كان هو بطلها ": انه بانهيار الاتحاد السوفيتي وحل حلف وارسو لم يعد الشرق مصدر الخوف بل الجنوب لان الاسلام اصبح يمثل اليوم الخطر

الرئيسي الذي يهدد الغرب ".

ولم يكن ويلي كلاس يعبر عن نفسه بقدر ماكان يعكس ماورد في تقرير بعنوان " الامن في منطقة البحر المتوسط : صادر عن " منظمة اتحاد اوروبا الغربية " والذي تضمن تحليلا من وجهة نظر معديه عن قضايا الامن في منطقة البحر المتوسط الذي راح يستعرض الاخطار التي من شأنها تهديد استقرار وامن اوروبا والدول الصديقة " لهم " والمرتبطة بها والواقعة على الضفة الجنوبية للمتوسط .

والتقرير الذي يقع في اربعين صفحة والذي كشف الستار عن محتوياته ، كشف ايضا النقاب عن النوايا التي بات من الصعب التستر عليها والتي تجعل من امن المنطقة العربية شانا اوروبا فضلا عن كونها تؤكد النظرة العسكرية الجديدة التي امن بها " الناتو " وعكس امينه العام هذه السياسة بتصريحه الذي اوردناه انفا .

ان النظرية العسكرية التي دافع عنها امين عام الناتو هي نفسها السياسة التي امن بها قادة اوروبا السياسيين والتي عبر عنها التقرير الذي يتكون من ٢١ توصية تحليلية تدور كلها حول قضايا النزاعات وتناقضات منطقة جنوب المتوسط . البلاد العربية . ونادرا ماترد اشارة الى اوروبا ومشاكلها وقضاياها التي من المفترض ان يناقشها التقرير بدلا من التدخل في شئون الغير. الذين هم العرب والمسلمين على الشط الجنوبي من المتوسط ".

ويستنتج من هذا التقرير ان الهدف الذي ترمي اليه اوروبا هو

تحقيق الامن الجماعي ، في منطقة حوض البحر المتوسط عن طريق ابرام اتفاقيات انية مع بعض الدول العربية وحتى عقد احلاف عسكرية مما يعني دمج المنطقة العربية وبالذات شمال افريقيا في المنظومة الدفاعية والامنية الاوروبية ومن ثم تاسيس جهاز دفاعي اوروبي . متوسطي ، مشترك ضد أي عدوان ..

لكن أي عدوان هذا واي عدو ؟

الجواب على هذا السؤال وارد في الصفحة الثامنة عشر من التقرير حيث التوضيحات التالية التي تقول " ان الرد على خطر الاصولية الاسلامية يتطلب قبل كل شيء استكمال معلوماتنا وتحليلاتنا حول ابعاد هذا الخطر"

ولذا فقد اخترع الغرب فكرة الخوف من الاسلام والمسلمين ولم يكن هذا الاختراع وليد اليوم ، لكنه نتاج تراث امتد طويلا ، وانغرس في اعماق التاريخ ليستمد منه مبرراته واصوله ولو انه خوف غير حقيقي .

ومن ثم اصبح الحديث عن موقف الغرب من الاسلام لازمة يومية وفرضية مقبولة في الاوساط الغربية ، بيد ان فكرة الخوف هذه لم تولد من عدم ، فقد بدا التحذير بصورة منتظمة وفي الاوساط السياسية والاعلامية الغربية ، منذ اكثر من عقدين من الزمان ، وقبل ان تظهر قوة الحركات الاسلامية التي ينسبون اليها خوفهم وقبل ان تشكل تحديا سياسيا لبعض الانظمة ، اقول زادت هذه التحذيرات التي تحذر من تصاعد قوة العالم الاسلامي وزيادة نفوذه وبينما كانت المؤسسات الدينية تشير باصابع الاتهام

الى عدوانية الدين الذي لا يزال قادرا على انتزاع مواقع جديدة له في افريقيا ، كان الباحثون السياسيون والاستراتيجيون يراهنون عليه في مقاومة الشيوعية وفي سعيهم لتفجير امبراطورية الشر السوفيتية .

ان صورة الاسلام والعرب البديلة للخطر الشيوعي لا تستقيم الا من خلال اعادة توجيه وصوغ العلاقات الدولية لتبرر هذا التحول من موقف الكره والتحقير من الاسلام والمسلمين ، ومن طور استخدامه في تجنيد المجاهدين للتخلص من الخطر الشيوعي في كثير من بلدان العالم المعاصر ، الى موقف الخوف والتهويل استجابة لهدف استراتيجي هام جدا ، هو اعادة صياغة علاقات الهيمنة الدولية ، أي ما اصطلح على تسميته بالنظام العالمي الجديد على اسس جديدة تعوض انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية العالمية ، أي الحاجة الى عدو جديد يبرر للغرب استمرار سياساته العدوانية وتبقي ترسانته الحربية والعسكرية في حالة عمل دائب ونشاط مستمر .

ان حالة الخوف من الاسلام التي يروجها الغرب والاعلام الغربي وكما تعودنا دائما ليست سوى تمهيد اعلامي لهجمة غربية تستهدف الشرق العربي والاسلامي وكلما بالغ الغرب في ابراز هذا الخوف الكاذب ، من الاسلام كلما اقتربت ساعة الحسم والمواجهة ، وحالة الخوف هذه ليست سوى الحصان الذي يمهد لصراع يبدو طويل الامد ، بقصد الايقاع بالاسلام والعالم الاسلامي ، وهزيمته مثلما حدث مع الشيوعية ، فهكذا هم يتصورون ويخططون

ويمكرون. والله خير الماكرين..

لكن يعترض حديثي سؤال اراه ضروريا ، وهل فعلا وحقا. يخيف الاسلام الغرب ، ولعلي ابادر فاقول ان الاجابة تتضح جلية من خلال سيناريو الاحداث الذي تجري تفاصيله على مسرح الحياة الان ونحن نستعد لمغادرة قاطرة القرن العشرين ، ونتهيأ لركوب قاطرة الالفية الثالثة ، من تاريخ البشرية ، فالخوف الغربي خوف مصطنع ، ومفتعل وغير حقيقي ، ذلك ان الغرب نفسه ، يعترف لكن في موقع اخر بانه لا يخاف الاسلام والمسلمين ومن يريد ان يتأكد من ذلك عليه ، ان يرصد مايجري ويدور للمسلمين في كثرة من بقاع الارض حول العالم .

ونحن ندرك ايضا ان الاسلام لايرغب في اخافة احد او ارهاب احد ، لانه ببساطة شديدة هو ضد هذا السلوك ، الذي يرفضه ويستنكره وينقضه ، ويبغضه ، وعلى المتشكك ان يعود الى كتاب المسلمين الاول ، ومصدر تشريعهم والى سنة نبيهم الذي اخذوا عنه دينهم ورسالتهم وعقيدتهم .

وبعد .. لعلي اطرح سؤالا اخر ، بعد هذا كله واعتقد ان اجابته لم تعد خافية على احد ؟

من يخيف من ؟

هل يخيف الاسلام الغرب ، حقا .. ام ان الغرب هو الذي يخيف الاسلام والمسلمين ويتربص بهم .. وعلينا ان نقلب الصفحات ..

النظام العالمي الجديد وضرورات التحاور الحضاري

الغرب مشغول بالشرق ، كما ان الشرق يكمن في بؤرة اهتمام الغرب بقادته وساسته ، ولا تفتأ كثير من الدول في الغرب من ان تعبر بشكل او باخر عن انشغالها بالشرق وشئونه ، هذا الاهتمام الذي نراه نلمسه ونحسه كما نستشعره كل يوم .

ونحن بعد استعراضنا الذي بسطناه على مدار حلقات حديثنا السابق توصلنا الى نتيجة مؤداها ان علاقة الشرق المسلم بالغرب المسيحي بدأت صراعا منذ ان هبط وحي السماء معلنا بداية عصر جديد يقوده دين جديد يعيد للبشرية كثيرا مما فقدته ، ويرسخ حضارة جديدة بقيم جديدة ومعطيات حضارية جديدة .

هذه العلاقة التي بدت صراعا استمر ردحا من الزمن وحتى اليوم شهدت ايضا قرقعات السلاح وغزوات الغربيين من المتعصبين الذي مايزالون يرون ان الاسلام وحضارته عدو لا بديل عن التخلص منه .

وعلى الرغم من محاولات العقلاء التي باءت بالفشل بتكريس

حوار يكون بديلا عن الصراع والصدام ، الا ان الرغبة في الصراع تغلبت على حكمة الحوار وفضيلة التحاور ليستمر هذا الوضع المأساوي الذي نشاهده اليوم .

فالحوار بين الحضارات او بين الشرق والغرب ، والذي تاطرت قواعده واصوله ومهامه في عصرنا الحديث والذي سعت اليه هيئات ومنظمات عالمية والتي بدأت في تجميع خيوطه وتفاصيله ، وجعله حوارا جادا ومفيدا تتولاه هيئة تمثل هيئات منظمة الامم المتحدة ،والتي افرزتها الحربين العالميتين الاولى والثانية ، والتي كانت النتاج الطبيعي للصراع المسلح الذي نشا بين قوى عالمية وعظمى ، وانتهى بما الت اليه في الحرب الثانية ، والتي سعى العالم بعدها الى ايجاد الية جديدة لفض النزاعات بين الشعوب والامم وايضا بين الحضارات .

والحوار بين الحضارات تقليد او دعوة قديمة اتخذت شكلا محددا بعد الحرب العالمية الثانية ، تحت رعاية اليونسكو وبعض المنظمات الدولية والاقليمية الأخرى ، متاثرا بالمناخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي الذي كان سائدا خلال الفترة بين العام ١٩٤٩ م الى عام ١٩٨٩ م ، حيث غدا العام ١٩٨٩ م ، عاما فاصلا بين حقبتين من التاريخ الحديث ، ففي العام ١٩٨٩ م ، ودع العالم نظامه القديم الذي كان يعتمد على ثنائية الاقطاب ، في التعاطي مع الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي بانتصار المعسكر الراسمالي ونشوء ما اصطلح على تسميته النظام العالمي الجديد الذي كرس نظاما عالميا جديدا بالفعل

يعتمد على احادية الاقطاب وباعتماده على الهيمنة الامريكية التي فرضها الواقع السياسي والذي افرز بالتبعية واقعا جديدا بهزيمة الشيوعية وتفكيك المعسكر الشرقي وانفراط عقد اليسارية السياسية واعتراف العالم بهيمنة الغرب على العالم .

ففي العام ١٩٤٩ م ، اصدرت لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات والتي اجتمعت في مقر هيئة اليونسكو في نوفمبر عام ١٩٤٩ م ، تقريرا يتضمن موضوع الحوار بين الحضارات ودور اليونسكو في هذا الحوار والذي تمت معالجته باكثر من وسيلة ، فماذا قالت اللجنة في تقريرها في ظل نظام دولي ثنائي الاقطاب بين شرق وغرب ، أي بين نظام شيوعي ونظام راسمالي او ماكان يطلق عليه اليمين واليسار .

يقرر التقرير " ان مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقات بين حضارات ومن هذه العلاقات يجب ان يظهر مجتمع عالمي جديد على اساس من التفاهم والاحترام المتبادل ويجب ان يتبنى هذا المجتمع نزعة انسانية جديدة ، بحيث تتحقق فيه العالمية من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة في الحضارات المختلفة .

ومنذ البداية كان هناك وعي باشكالية العلاقة بين الثقافة والواقع الاجتماعي والثقافي وبخاصة العلاقة بين التقنية والقيم التقليدية لدول العالم الثالث .

يذكر في هذا السياق ان توالت ثلاثة اجتماعات دولية هامة كانت تصب في نفس الوعاء وهي اجتاع ساوباولو الفكري الذي عقد في اغسطس عام ١٩٥٤ م ، والاجتماع الدولي في جنيف في

سـبـتـمـبـر عـام ١٩٥٤ م ، والـذي ركـز علـى العـالم الجـديـد واوروبا والاجـتـمـاع الـدولي الـثـالـث في جنيـف ايضـا عـام ١٩٥٧ م ، والذي عـالـج مـوضـوع اوروبا والـعـالـم اليـوم . اضـافـة الى المشـروع الـرئيس لليونسكو عن الفهم المتبادل للقيم الحضارية للشرق والغرب الذي استـمـر منذ عـام ١٩٥٧م ، الى العـام ١٩٦٦ م ، والذي اشـتـمـل على الموضوعات التالية :

■■ تعـريف القيم في الـشـرق والغـرب ودور العـوامل الدينيـة في الحياة الثقافية .

■■ القيم الاساسية في الحضارات الكبرى في الشـرق والغـرب واهمية هذه القيم للحياة الشخصية وموقعها في الادب والفن .

■■ التحول الاجتماعي في الشرق واثـره على الحياة الثقافية واسهامات الجامعـات في مجال التفاهم المتبادل بين الشـرق والغرب والتقاليد الموسيقية والمسرحية في الشرق والغرب .

■■ ابداع الادب المعاصر في الشرق والغرب .

■■ المشاكل العامة المتعلقة بتطور التبادل الثقافي والعوامل التي تساعد او تعرقل الاتصال والتعاون .

■■ المشاكل مابين الحضارات والتي تتعلق بتنميـة دول العـالم الثالث بعد حصولها على استقلالها .

ولقد اثمرت هذه الجهـود عن نشوء مفـهـوم جديد بدا يـتـرسـخ بين المتحاورين مفاده " ان الحوار المتعدد حل محل فكرة الحوار البسيط ، واضيف الى الفكرة المجددة للقيم الحضارية التصور العالمي للقيم الانسانية ويجب الا يركز الموضوع الذي سيطر على

المشروع على فهم الحضارات الاخرى ولكن على اهمية المعنى الرئيسي للقيم الانسانية بصفة عامة .

لقد مثلت هذه الفكرة في اعلان المباديء للتعاون الثقافي الدولي في عام ١٩٦٦ م ، والذي اصبح احد المحاور الاساسية في مجال الثقافة وينص هذا البيان الذي ذكر في مادته الاولى على كل شعب له الحق في ، وعليه واجب تنمية حضارته . كل الحضارات بكل مافيها من تنوع واختلافات عميقة وتاثير متبادل على بعضها البعض جزء من الارث العام للبشرية . ككل حضارة لها اعتبارها وقيمتها التي يجب المحافظة عليها واحترامها .

ان مفهوم عالمية القيم او الثقافة العالمية اصبح موضوعا مركزيا في اجتماعات دولية تتناول الابعاد الثقافية لحقوق الانسان

ولقد تلت هذه المحاولات العديد من الاجتماعات والتقارير واللجان التي اشرفت عليها الامم المتحدة ومنظمات عالمية والفاتيكان والازهر ودول كثيرة ومنظمات اقليمية وعالمية كثيرة ، كان محور نقاشها حوارا جادا وشاملا بين الحضارات واتخذ العديد من المسميات والالفاظ ، الا انها كانت معنية جميعها بالحوار بين حضارات العالم ، تحت مظلة نظام عالمي ثنائي الاقطاب ، والذي انتهى عمليا في العام ١٩٨٩ م ، حين اعلن عن مولد النظام العالمي الجديد هذا العام الذي حدثت فيه تغييرات هامة وكبيرة افرزت عالما جديدا " سقوط الاتحاد السوفيتي " ونهاية الحرب الباردة وسقوط النظم السلطوية في اوروبا

الشرقية . وتفكيك المعسكر الشرقي وحلف وارسو . وتوحيد المانيا ."

هذه المعطيات والنتائج دفعت بالسيد صامويل هانتنجتون . وهو استاذ علم الحكم ومدير معهد جون اولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد . وهذه المقالة هي نتاج مشروع المعهد عن " البيئة الامنية المتغيرة ومصالح القومية الامريكية " الى طرح محاضرته التي عنونها بـ " صدام الحضارات " فماذا يقول هانتنجتون : " ان فرضيتي تقوم على ان المصدر الجوهري للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون في الاصل ايديولوجيا ، او في الاصل اقتصاديا وانما ستكون الانقسامات الكبيرة بين الجنس البشري والمصدر السائد للصراع ثقافيا وسوف تبقى الدول القومية هي اكثر الفاعلين قوة في الشئون الدولية ولكن الصراعات الرئيسية للسياسة العالمية سوف تقع بين الامم والجماعات ذات الحضارات المختلفة ، وسوف يسيطر صراع الحضارات على السياسة العالمية وسوف تكون خطوط الخلل بين الحضارات هي خطوط المعركة في المستقبل " .

وسوف يكون الصراع بين الحضارات هو الطور الاخير في منحنى تطور الصراع في العالم الحديث . ويتساءل هانتنجتون عن السببية في هذا الصراع الذي سوف ينشأ بين الحضارات حيث يتساءل ولماذا تتصادم الحضارات . يجيب هو فيقول ان هذا يرجع الى :

●● الاختلافات الثقافية بين الشعوب وهي فروق اساسية بدرجة كبيرة واكثر من الاختلافات الايديولوجية وهذه الفروق هي نتاج

قرون ولن تختفي سريعا كذلك يشير الى انه على مر القرون ولدت الاختلافات بين الحضارات اطول النزاعات واكثرها عنفا .

●● ثورة التقنية والمعلومات جعلت العالم يضيق واصبحت الاحتكاكات الثقافية تزيد واصبح وعي الشعوب بثقافتها اكثر ولذلك فان التمايزات سوف تبرز بحدة اكثر .

●● ان عمليات تحديث الاقتصاد والتغيير الاجتماعي في كل انحاء العالم تفصل الشعوب ، عن الهويات المحلية القديمة ، الراسخة كما تضعف الدولة / الامة ، كمصدر للهوية وفي كثير من انحاء العالم ترك الدين ليملا هذه الفجوة ، وغالبا في شكل حركات توصف بانها اصولية وتضم في صفوفها الشباب ذوي التعليم الجامعي والفنيين من الطبقة الوسطى ، والمهنيين ورجال الاعمال تحت شعار احياء علوم الدين او ثار الاله .

●● نهوض الدول القوية الجديدة التي ترغب في تشكيل العالم بطرق غير غربية مثل بروز الطابع الهندوسي في الهند والاسيوي في اليابان و الاسلمة في الشرق الاوسط ، والنرويس في روسيا وغيرها .

●● بروز النزاعات الاثنية والدينية التي ترفض التحول او التبديل .

●● نزعة التجمعات الاقليمية الاقتصادية سوف تعزز اكتشاف الهوية الثقافية للشعوب ومع تحديد الناس لهويتهم بمقاييس اثنية ودينية، فمن المرجح ان يروا ان هناك علاقة بين " نحن " و " هم " تقوم بينهم وبين شعب من عرق اثني مختلف او دين مختلف

وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت الى هذه المحاضرة والى المفاهيم والاسس التي بنيت عليها والنتائج التي توصلت اليها ، الا انه تظل لهذه المحاضرة فضيلة . ان كانت لهذه المحاضرة من فضائل ، الى الدعوة التي اطلقها هانتنجتون بضرورة " الصدام الحضاري " او " الصراع الحضاري " بين الشرق والغرب ، او بالتحديد بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي لتشكل شعارا وراية يتجمع تحت رايتها القوى الغربية العازمة على التصادم والصراع والمواجهة ، بعد ان طرحت جانبا الرغبة في التحاور والتكامل .

ان الدعوة الى الصراع او التصادم النابعة من فكر استعماري محض تواجه اليوم فكرا جديدا ، ونحن نتهيأ لاستقبال تحولات الالف الثالثة من التاريخ البشري ، معلنا قدوم القرن الحادي والعشرين ، تواجه الانسانية خيارات مختلفة ، لعل ابرزها اما اعادة انتاج نظام الهيمنة القديم تحت شعار " النظام العالمي الجديد " او خلق نظام مابعد الهيمنة والذي سوف يستمد مضمونه من البحث عن ارضية مشتركة بين التقاليد المكونة للحضارة الانسانية .هذه الارضية المشتركة التي يؤكد عليها السيد / روبرت كوكس بقوله : ان هذه الارضية المشتركة تتحقق بشرطين :

الاول : هو الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للحضارات الانسانية المتعددة ، ربما تكون هذه اكثر الخطوات صعوبة وخاصة

لمن يتبنون منظر الهيمنة على العالم ، والذين ليسوا على استعداد للتـخلي عن طمأنينة الاعتقاد الثابت في نظام طبيعي يرتكز تاريخيا على الانتقال من موقف قوة محدد وتعميمه بعد ذلك وكانه صيغة حضارية عالمية .

وتكمن الصعوبة في الطريقة التي يتم لها ادراك وتسجيل التغيير السياسي الذي يتم خارج الغرب وكيف يتم تناوله في الغرب واميل نحو النظر لكل شيء من خلال مفاهيم غربية والتي قد تؤدي على سبيل المثال الى النتيجة التي مفادها ان " نهاية التاريخ " على وشك الحدوث بتتويج ابدي للحضارة الراسمالية الغربية ، ويتضمن الاعتراف المتبادل الاستعداد لمحاولة فهم الاخرين بشروطهم هم .

والشرط الثاني لعالم مابعد الهيمنة هو تجاوز نقطة الاعتراف المتبادل والاتجاه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الحضارية .

•• الاعتراف بمتطلبات البقاء والتوازن المتواصل في الايكولوجيا الكونية ، رغم ان الاستنتاجات المحددة التي يمكن استخلاصها من ذلك تبقى موضع خلاف .

•• القبول المتبادل لضبط العنف في حسم الصراعات وهذا لا يعني ان ذلك سوف ينهي العنف السياسي المنظم ولكنه قد يزيد من تكاليف اللجوء الى العنف .

•• الاتفاق التام على كشف مصادر الصراع وتطوير اجراءات حل ومعالجة الصراع التي تاخذ في الاعتبار تعايش الرؤى

المتباينة .

ويمكن القول بان الاساس الذي يوفر تحقيق هذا الهدف يتمثل في عدة امور هي ان الوصول الى الارضية المشتركة المقترحة يتطلب ان يلعب ممثلو الحضارات التاريخية المختلفة دورا نشطا وذلك بتطبيق الحوار بين الحضارات بصورة مختلفة وخلاقة .

●● ردم الهوة بين شرق يملك حضارة انسانية وغرب يقود حضارة مادية ؟

وقد اخطأ صامويل هانتنجتون حين اطلق مقولته الشهيرة والتي لم تزل تراوح مكانها منذ ان اطلقها في محاضرته الشهيرة المعنونة " صدام الحضارات " " CLASH OF CIVILIZATION " والتي انطلقت باساسها الفكري الذي ينطلق بافتراض الصدام الحضاري فيقول ": يقوم افتراضي على ان المصدر الاساس للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون ايديولوجيا او اقتصاديا في الاساس ، فالتباينات بين الجنس البشري والمصدر المحوري للصراع ستكون ثقافية ، وستظل الدول القومية اكثر الوحدات الفاعلة قوة في الشئون الدولية ، غير ان الصراعات الاساسية في السياسة الدولية ستقع بين دول وجماعات صاحبة حضارات مختلفة ، وسيهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية ، وستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل ، وسيشكل الصراع ين الحضارات اخر مراحل تطور الصراع في العالم المعاصر".

ولعل أول نقد يمكن ان يوجه الى هذه الفرضية هي ان

الحضارات تكامل ولا تتصادم ، تتفاعل ولا تتواجه ، وهي تتحول وتفنى وتتلاشي لاسباب كثيرة ، لكن التاريخ الذي نقرأه الان وبعد الان يحكي ان الحضارات لا تهزم في معارك من هذا النوع ، كما ان الحضارات قد تندثر وتنشأ وتنضج وتشيخ وتلك عملية تاريخية طويلة جدا ، ومعقدة جدا ، لكن في المقابل لا يمكن لاي حضارة ان تنهزم او تخسر حربا .

فمنذ ان بدأ التاريخ بالتقويم الميلادي لا يذكر احدا ان حضارة ما قد اندثرت تماما ، وانما يتفق الجميع على ان الحضارات التي نتحدث عنها الان هي امتداد لحضارات سابقة ، وان هذا الامتداد نفسه قد تم بشكل تدريجي من دون انقلاب الا في حالات الكوارث الكونية ، وهو تفسير يحتاج الى دليل عبر مسار طويل من البناء والكوارث والتكاثر والابادة والحروب والتفاعل ، وفي زمن يكون العالم موحدا بوسائط انتقاله كما هو موحد الان وفي القرن الحالي ، تجدد ذكر حضارات صغيرة ، كان يعتقد انها انتهت ولم يبق منها الا اثارا حية في مجموعات بشرية متناثرة ، وعليه فان الحضارات تظل دوما محصلة للنشاطات البشرية والمحصلة اصلها مواقف واراء مختلفة تتفاعل وتتصارع لتبني هذه المحصلة .

والجانب العملي وربما المنطقي ايضا ، يقول ان الصدام لايجري بين حضارات ولكن يجري بين ابناء حضارات وبصرف النظر عن نتائج هذا الصدام فان الحضارات تستمر في حين يفنى ابناؤها او اجيال ابنائها وبقدر قوة الدفع والمقومات التي تتصف بها هذه الحضارة تبقى وتنتعش وتستمر الحضارات في مسيرتها فتقوى

وتتحول وتنضج وتتفاعل لكنها لا تحارب ولا تتواجه ، ولا تصدم ولا تتصادم ، ولا تقتل ولا تتقاتل ، والحضارة ايضا تملك في ذاتها مقومات بقائها وفنائها كما تحمل ايضا تملك صفات تفردها وتميزها .. وهكذا .

والحضارة تؤثر في ابنائها ولا تتأثر بهم ، تغير فيهم ولا تتغير بما يفعلونه لكن بداءة علينا ان نضع تعريفا للحضارة وماذا تعني وماهي ماهيتها ؟

نذكر في البداية تعريف هانتنجتون الذي وضعه في مقدمة محاضرته . القضية . باعتبارها بداية خيط الموضوع . فماذا يقول :

يقول هانتنجتون متسائلا : ماذا تعني عندما نتحدث عن حضارة الثقافة ككيان ثقافي ، فالقرى والمناطق والجماعات العرقية ، والقوميات والجماعات الدينية ، تمتلك ايضا ثقافات متميزة بوضوح على مستويات مختلفة من عدم التجانس وربما تختلف ثقافة قريبة في جنوب ايطاليا عن ثقافة قرية في شمال ايطاليا ، لكن كلتاهما تتشاطران ثقافة ايطالية مشتركة تميزها عن مثيلتها الالمانية والمجتمعات الاوروبية ، بدورها تشترك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية او الصينية ، ومع ذلك فان العرب والصينيين والغربيين ليسوا جزءا من أي كيان ثقافي اشمل ، انهم اصحاب حضارات وهكذا فان الحضارة هي ارفع تجمع ثقافي للبشر وهي اشمل مستوى للهوية الثقافية لا يفوقه من حيث تحديده للهوية الثقافية الا الذي يميز الانسان ، عن غيره من الانواع الاخرى ويمكن تحديدها او تعريفها بكل من

العناصر الموضوعية مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات وبالتمايز الذاتي للبشر ".

وعلى الرغم من محدودية هذا التعريف ، وعدم حياديته لانه ببساطة طرح تعريفا يمكنه من طرح تصوراته حول هذا الصدام الذي يمهد له نظريا ، ويمكنه من الاستمرار في طرحه لفلسفة هذا التصادم الذي افترضه .

ولعلي اتفق مع كثير ممن اعترضوا على مقولة " صدام الحضارات " بان فرضية هانتنجتون تشكلت من تصوره حول الصدامات التي قامت بين نماذج من تكوينات طائفية دينية وقبلية كانت موجودة في عصر الحرب الباردة بل وفي عالم ماقبل الحرب الباردة ، وهذه الصراعات لا يمكن لها ان ترقى الى ان تكون صراعا حضاريا او صداما حضاريا من أي نوع ، لانها ليست كذلك وعلينا ان نطلق عليها مانشاء من تسميات .

ان فهمنا الحضاري يستدعينا للبوح بان نموذج الصراع الذي نشأ بين الحضارة الغربية وحضارة الاسلام والذي بنى عليه هانتنجتون فرضيته لا يخرج عن كونه عملية استعداء كما سبق ان قلنا ، باعتبار ان التصادم ليس من طبيعة الاسلام ولا من تكوينه .وعلى الرغم من عدم اتفاق الكاتب على تعريف محدد لكلمة الحضارة باللغة العربية ، حيث ينشأ المازق عند ترجمة المعنى من أي لغة للمرادف اللغوي لها في العربية ، الا ان جميع ماكتب عن الحضارة يتفق على ان الحضارة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين والعقيدة الدينية ، وان صدام الحضارات المتوقع سوف يكون

على الارجح بين الاسلام من ناحية والحضارة الغربية (المسيحية وربما تضاف اليها اليهودية) من ناحية اخرى ،

حيث اقر مجمع اللغة العربية كلمة " الحضارة " بمعنى مضاد للبداوة حيث قال بان " الحضارة ضد البداوة " وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني ، وهي من مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي في الحضر ، لاي مجتمع من المجتمعات الانسانية وعلى الرغم من الخلاف الواضح بين كلمة الثقافة والحضارة التي اوردها هانتنجتون بمعنى واحد هو الحضارة ، الا ان الخلاف واضح وجلي لدى الكتاب الذين يميزون بين الثقافة التي تظل واحدة من العناصر التي تشكل الحضارة بمعناها الاشمل .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الان ، هو كيف نردم الهوة التي تفصل بين حضارة الاسلام الانسانية وحضارة الغرب المادية ، ونحن نناقش السبيل الى تفاعل الحضارات وتكاملها .

لكن علينا قبل ان نبحث في كيفية ردم هذه الهوة ، علينا اولا ان نحدد عناصر الحضارة الاسلامية او حضارة الشرق ، وان نجلي مقومات الحضارة الغربية ، حتى يتسنى لنا ان نتعرف على القواسم المشتركة التي تجمع بينهما لندعمها ، وان نتعرف على اوجه الخلاف لنرأب صدعها :

●● الحضارة الاسلامية حضارة انسانية : حيث انها تعلي من قدر الانسان الذي كرمه الله على بقية الخلق ، فالانسان وكرامته من ابرز ثوابت المنهج الحضاري للاسلام باعتبار ان انسانية الانسان

وادميته هي الاساس .

فهو اعلى مرتبة من أي مخلوقات اخرى ، وان الانسان هو حامل التكليف الالهي بعمارة الكون ، حيث ورد في القران الكريم وفي اكثر من موضع مكانة الانسان في الاسلام ، وتعددت الايات التي تتحدث عن تكريم الله للانسان فيقول : " ولقد كرمنا بني ادم " ويقول ايضا " لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم " ومن ثم فان الاسلام معني تماما بالحفاظ على الانسان وعلى حياته ، والحفاظ على حقوقه وكرامته وموقعه ، في الارض بين المجتمع والكون من حولها ، كما يحفظ للانسان حركته في هذا الكون وانها محكومة بشرع الله في الارض .

●● المنهج الانساني في استخلاف الانسان في الارض ، حيث شرع الله للانسان في الاسلام منهجه الذي يسير عليه ، في الاستخلاف في الارض حتى تتحقق مع ذلك مهمة الاستخلاف وتتحقق الحكمة من خلق الانسان والكون ، في اطار من التوازن والوسطية التي تحول دون حدوث خلل من أي نوع او طغيان جانب على اخر في الانسان والكون ، وان الانسان يستمد كل هذا من الله سبحانه وتعالى الذي تكاملت رسالته ودعوته الى الانسان في العبادة وعمارة الارض واستخلاف الله فيها .

●● الحضارة الاسلامية ارست منظومة متكاملة من القيم والمثل العليا التي دعت الانسان الى التمسك بها والدعوة اليها والدفاع عنها وحمايتها ، هذه القيم والمثل العليا ليسا الا صفات لله ، افصح عنها ومن ثم اصبحت هذه الصفات الالهية التي

كشفها الله لتصبح قيما ومثلا عليا ، وليؤمن بها الانسان باعتبارها مؤشرات للسلوك الصالح في المجتمع وهي التي سوف تكفل للانسان القدرة على اطلاق طاقاته ، وتمنحه القدرة على استغلال القدرات الكامنة فيه .

ولعل التفسير الانساني للاسلام يعطينا الحق في القول بان الانسان هو محور دعوة الاسلام وان تكريمه عن بقية المخلوقات لا ياتي من فراغ ولكنه تكريم ناجم عن مشيئة الهية ، ومقومات وصفات خلقه الله عليها لتكتمل الحكمة من خلق الانسان والكون

ان هذه المقومات التي اصطبغت بها الدعوة الاسلامية ومن ثم الحضارة الشرقية التي ارسى الاسلام قواعدها في بلاد الشرق ، والتي مالبث ان تمسك بها الانسان المسلم في صراعه مع قوى الشر التي تربصت به وحاولت ان تحول بينه وبين الدعوة الى دين الله والى الامتثال لامره تعالى بان يكون الاسلام هو خاتم الرسالات وان الاسلام للكافة وانه دعوة للعالمين مهما كانت لغتهم وجنسهم ولونهم ومجتمعاتهم وان بني البشر متساوون في الحقوق والواجبات وان ليس لعربي فضل على اعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، وان التمييز والتعصب والعنصرية لا مكان لها جميعا في الاسلام ، وان لا وساطة بين الله وعباده ، وان على الانسان ان يعبد الله كما امره وعلى الوجه الذي امر به وفرضه وابانه في كتبه وعلى يد رسله .

كما وان الدعوة للاسلام التي بدأها بالقراءة والدعوة الى

العلم تطرح على الانسان ضرورة ان يتمسك بالعلم واكتشاف مجهولات الكون ولكن في اطار ما امر به الله وان على الانسان ان يسلك السبل نحو تحصيل العلم وتعليمه للاخرين .

كما ان شمولية الاسلام التي لم تضيع شيئا تجعله رسالة كاملة شاملة جعلت من الاسلام كيانا متماسكا كما انها لم تغفل أي امر من امور الانسان ، سلحته بما ينبغي عليه ان يتسلح به في مواجهة المجهول الذي ينتظره على الارض ، ومنذ ان كتب الله على الانسان ان يهبط الى الارض .

وفي مقابل هذه الانسانية التي صبغت حضارة الاسلام نجد الحضارة الغربية تعلي كثيرا من قدر المادة على حساب اية قيم اخرى ، وان الفيزيقيا هي سر هذا الكون وسر حركته ، وانها هدف الانسان في هذه الحياة ، وان لا قيمة للمعايير الاخلاقية في التحكم في تصرفات الانسان ، ويزداد الايمان الغربي بقوة المادة في التصور العام لحركة الانسان في هذا الكون ، باعتبار ان المادة في مواجهة المعايير الاخلاقية هي محور هذه الحركة وهي عصبها واطارها .

الحضارة الغربية تعتمد على المادية الصارخة ، والعلمانية المعادية للدين وفي الحرية الليبرالية . التي تعطي المجال الفسيح امام الفساد الاخلاقي والاجتماعي وهي بذلك تستند الى امور ثلاثة على حد قول الدكتور فهمي جدعان الذي انتهى الى ان " الحضارة الغربية تستند الى اساس ثلاثي يتمثل في مفهوم للمعرفة وفي مفهوم للفرد وفي مفهوم للتقنية ، اما تحديد

المعرفة في هذه الحضارة فيستند الى النظر في القضايا والمسائل وفق العقل المتحرر من السحر والخرافة واللامعقول وذلك خلافا لما جرت عليه حضارات الشرق السابقة لحضارة اليونان ".

وعليه فان الفروق الهائلة بين الحضارتين تكمن في العقلانية العربية التي تواجه الحدسية الخارجة عن نطاق العقل او الخرافية بمعنى اخر من وجهة نظر الغربيين ، والتقنية الغربية في مواجهة التخلف الشرقي ، والمجتمعية الشرقية في مواجهة اعلاء الفرد في الحضارة الغربية ، ومن ثم فان العلم والعقل هما اساس هذا الكون وهما المسيطران على حركته في مواجهة الدين والوحي ، ومن ثم علينا ان نحترم احكام العقل والعلم وان نجنب دائما الدين والوحي عن هذه الحياة التي منحاها ، ويلخص الغرب هذا كله في الحداثة التي تعني رد الحضارة الحديثة. الغربية . الى مبدأ العقلانية الاختبارية او الذرائعية على حد قول د. جدعان ويرتبط ذلك كله رفض الاعتقاد بثنائية الروح والبدن وقطع الرابطة بين السماء والارض وبناء الاخلاق على المنفعة والمسئولية والقصد العقلاني للقيم لا على الايمان الديني وتاسيس مايطلق عليه مصطلح المجتمع المدني في مواجهة المجتمع الديني .

ان بداية أي حوار بين الشرق والغرب يبدأ من البحث في كيفية ردم هذه الهوة التي تفصل بينهما والى البحث عن القواسم المشتركة التي تجمع هذه الحضارات وان نبحث عن الاختلافات الجوهرية بينهما وان نعمل على التعامل معها وعلاجها ، فان نحن نجحنا في هذه المهمة التي اراها هامة واساسية نكون بذلك قد

قطعنا خطوة فاعلة وشوطا كبيرا نحو اثراء هذا الحوار ، وجعله حوارا مفيدا ومثمرا وان هذا سوف يكون بالتالي خطوة فاعلة نحو تفاعل وتكامل الحضارات التي طرحناها مسبقا ومن ثم انهاء حالة الخصام المستفحلة التي دامت طويلا ، وما تزال تلقي بظلالها على الحاضر والمستقبل لابناء الحضارتين الاسلامية والغربية .

صدام الحضارات
وخطر تذويب الهوية في الاخر

ليس من قبيل المبالغة او التهويل القول بان الاسلام والمسلمين كتب عليهم ان يكونوا في مواجهة دائمة لاحتواء ذلك العداء وذلك الرفض المعلن والمتخفي من الاخر، فذلك تاريخ معروف ومقروء، وتحتويه كتب التاريخ، لكن مايعنيني الان هو رصد مايضمره الاخر من شر ومن مكيدة للاسلام والمسلمين، والتي اخرها مابدأت تظهر ارهاصاته في ادبيات العصر الحديث من عولمة، وماروجت له دعاوى صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، وانتصار الفكر الراسمالي، وفرض منطق الصراع على منطق الحوار، ومحاولات تذويب الهويات الثقافية والعقائدية للشعوب على اختلافها وانتصار المقولات وشعارات القرية الكونية، وغيرها من الدعاوى التي اصبحت تروج الان بين ظهرانينا ونستقبلها بكثير من الاستخفاف واللامبالاة.

فالعولمة التي افهمها واتعامل معها بمفهومي عنها هي انها

تعني ان لا مكان للخصوصية الثقافية والتراث الانساني ، وان لا مجال للهوية القومية ، فالكل يصب في الاخر ، وعلى الفضائيات ووسائل الاعلام تهيئة الاذهان والعقول وغسيل المخ ، والمجتمعات ايضا لتقبل هذه الافكار حول العولمة وفلاسفتها الذين يبشرون بها .

وعلى الرغم من العمر القصير لفكرة العولمة ، فان الانجاز الذي تحقق على هذا الصعيد ، يؤكد على مدى حرص فلاسفتها والمروجين لها على ان تتحقق هيمنة الاخر على كل قطاعات الثقافة والتراث والخصوصية الحضارية .

وتظهر العولمة كمفهوم في ادبيات العلوم الاجتماعية الجارية كاداة تحليلية لوصف عمليات التغييرفي مجالات مختلفة ، ولكن العولمة ليست محض مفهوم مجرد ، فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية ، في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال ، وهناك اجماع بين المراقبين للحياة الدولية على ان العمليات السياسية والاحداث والانشطة في عالم اليوم لها بعد كوني دولي متزايد ، وقد عبر السير / انتوني ماكجرو عن ذلك بقوله " في عصر الاتصالات السريعة من الطبيعي ان الاحداث السياسية او التطورات في جزء من العالم سوف تؤثر بطريقة مباشرة او غير مباشرة على العملية السياسية في مجتمعات اخرى بعيدة ، ويتضح هذا الارتباط بصورة ادق في حالات الازمات (مثل حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م).

ويسود العالم اجماع على ان العام ١٩٨٩ م ، كان هو نقطة

الفصل التي بدأت فيها تداعي النظام العالمي الثنائي الاقطاب ، بانهيار الاتحاد السوفيتي وتفتت الكتلة الشرقية ، وتوحد المانيا ، وانتهاء عصر الحرب الباردة ، وسقوط مفردات القاموس القديم ، ومن ثم بدأت تصاغ مفاهيم جديدة ومصطلحات جديدة ، ومن ثم اصبح مفهوم العولمة او الكوننة او الكونية يطغى على احاديث الخاصة والعامة ، ومن ثم ايضا اصبح المصطلح الكوني هو الرمز الذي يشير الى العالم الجديد الذي اخذ طريقه نحو النشوء والارتقاء .

ويلخص احد المفكرين العرب وضعية العولمة في النقاط التالية :

■■ العولمة ليست ايديولوجية معينة او مذهبا سياسيا او معتقدا فكريا ، بل هي ظاهرة تاريخية لها انماط متعددة الوجوه ، ومناهج متنوعة ومخاطر لا متناهية ، ليس بغرض اعادة انتاج نظام قديم ، بل تؤسس لقيام نظام عالمي جديد.

■■ العولمة ليست هي العالمية ، فالاخيرة ارتبطت بالارض والانسان ، اما الاولى فقد ارتبطت بالكونية وانظمة الانسان المختلفة سواء مع الارض او في الفضاء .

■■ مادامت العولمة كفلسفة لا مركزية ، وكظاهرة تاريخية لا جغرافية ، تحكمها ضوابط عديدة فهي قابلة دوما لان تكون واسعة الحدود تخترق كل شيء لتصل الى كل جزيئاته .

ومن خلال بعض القراءات المختصرة لمفهوم العولمة سوف ندرك العناصر الاساسية الثلاثة لظاهرة العولمة والتي تتداخل فيما

بينها بشكل كبير وهي الاقتصاد والسياسة والثقافة وهي في نفس الوقت ادوات العولمة في السيطرة والانتشار .

•• ففي عالم الاقتصاد ، فان العولمة الاقتصادية تعني اقتصاديات عالمية مفتوحة ، وهي نفس مفاهيم الفكر الليبرالي الراسمالي التي تدعو الى تعميم مفاهيم الاقتصاد الحر ، والى قيم المنافسة والانتاجية .

•• وفي عالم السياسة ، فان العولمة السياسية تعني ان لا حدود بين اجزاء العالم ، فالكل يصير في واحد ، والا سيطرة للدولة على استقلالها حيث لا يصبح لمفهوم الدولة أي وجود .

•• وفي عالم الثقافة فان العولمة الثقافية تعني ان لا وجود للخصوصية الثقافية ، ولا للهوية الذاتية ، حيث تذوب كل الثقافات والحضارات والهويات في الاخر الذي لا ندري ماهو ، ولا ماهو الشكل النهائي لهذا الذوبان المقصود ، فمازال العالم يعيش حالة التغير والتحول التي لا تتضح معالمها للان .

وعندئذ فانني ارى ان العالم الاسلامي والشخصية المسلمة تتعرض لهجمة جديدة ، تستهدفها وتستهدف منجزاتها العقائدية والدينية والحضارية ، وانها مقبلة على مرحلة جديدة من الصراع ، . ولو انني لا احب استخدام هذه الكلمة وافضل عنها كلمة الحوار. فالتحديات كثيرة ومتعددة ليس فقط في مجال الفكر والعقيدة ، ولكن في مجالات السياسة والاقتصاد والحرب ، وعلى من لا يعرف ، عليه فقط ان يقرأ خريطة العالم السياسية اليوم وان يعيد النظر في جغرافية العالم اليوم ، وان يعيد التامل

في احوال العالم من شماله الى جنوبه ومن شرقه الى غربه ، وعليه ان يحكم بعد وان يعلق كيف يشاء .

ان اخطر مايواجه الاسلام اليوم ويعانيه المجتمع الاسلامي هو هذه الانعكاسات التي ترد الينا من الغرب المسيحي ، متمثلة في الافكار والفلسفات والايديولوجيات التي تعمل على ان تميت روح المجتمع الاسلامي فتجتث كل ارتباط بينه وبين اصالته واصوله وقيمه وتحاول ان تدفع به ليسير في نفس النهج الذي سار عليه الغرب .

والواقع ان هناك صراعا حقيقيا . فرضه الغرب . بين الحضارتين الاسلامية والغربية . ذلك ان القول بان للغرب حضارة ، هذه الحضارة الغربية التي تريد فرض سيطرتها ومفاهيمها وقيمها على العالم الاسلامي ، وبالمقابل تقف الحضارة الاسلامية التي تريد ان تحتفظ بشخصيتها ومفاهيمها وقيمها واصولها واصالتها وتاثيراتها وتنشد التقدم والتطور في دائرتها تقاوم وتجاهد .

ولئن كانت الحضارة الغربية قد قطعت علاقتها بكل ماهو اصيل في حياتها وتاريخها فان الحضارة الاسلامية لا يمكن لها ان تنصاع لهذه القطيعة لانها وهي تنشد الكمال والتقدم والاستفادة من التطور العلمي وتريد وتعمل على ان تبقى مرتبطة كل الارتباط بمفاهيمها الاصيلة ، واصول دينها وعقيدتها التي تقتضي منها الاستمرار في الارتباط والاعتماد على الخط الاسلامي والحقيقة الاسلامية التي لا تنفصل عن الدين وعن

العقيدة الاسلامية التي هي اساس المجتمع القراني ، والشخصية المسلمة التي تاسست بوحي السماء وتوجيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وعلى سواعد صحابته وتابعيه والمخلصين من ابناء هذه الامة والذين تربوا على مائدة هذا الدين القويم وتشربوا تعاليمه ، وعلموا بما جاء به ، هذه الشخصية مطالبة اليوم بالتصدي لمحاولات اعدائها للنيل منها وايقاع الهزيمة بها وبفكرها وعقيدتها .

هذه الشخصية التي تتهددها اخطار الاستشراق والتبشير ، ومزالق العلمانية الحديثة وموجات الغزو الفكري الوافد ومحاولات جر العالم الاسلامي الى العديد من المواجهات العسكرية لاجهاده واجهاض مشروعه ، وانتهاء بالاستعداء والاستنفار الاستعدائي للغرب ضد كل ماهو مسلم .

ونحن هنا لا نستطيع ان نخفي حقيقة ان الاسلام والشخصية المسلمة تواجه اليوم اختبارا صعبا ، وتحديا كبيرا يتمثل في مدى قدرة الاسلام والمسلمين على اجتياز التحديات والمشاكل والاختبارات التي يفرضها عصر التغيرات السريعة والتي تحدث في عالم اليوم ، ومواجهة عصر النظام العالمي الجديد الاحادي القوة ، بتناقضاته وصراعاته وحركاته السياسية والاجتماعية وثوراته وهمومه الكثيرة التي تضع علامة استفهام كبيرة على مستقبل البشرية كلها في هذا العالم ، الذي فرض عليه ان يعيش حياته والامه وساعات المخاض للعديد من الحركات والثورات والتغيرات السريعة وان يعيش ايضا عصر العلم ، وعصر دقائق صراع العلم

والمستقبل ، والانسان بين هذا وذاك حائر ، خائر القوى ، لا يدري من امره شيئا بعد ان مزقته كل هذه الصراعات وضيعت التناقضات البقية الباقية له من اتزانه وثباته .

هذه الشخصية المسلمة اليوم ، مطالبة بالتصدي ابتداء من مواجهة احتياجات المسلم المعاصر ، ومشاكله وان تستخرج من كتابها ودستورها زادا يقي هذا الانسان من الزلل والانحراف ، ومطالبة ايضا وبنفس القدر من الحماس والقدرة الاجابة على كل التساؤلات الي ترهقه في مواجهة هذا العصر الذي ارهقته حرب الافكار والفلسفات والايديولوجيات وتبعات انهيار الكتلة الشيوعية ونشاة عالم جديد يعتمد على القوة العالمية الواحدة فيما اصطلح على تسميته بالنظام العالمي الجديد وعصرمابعد الحداثة .

واليوم لكيلا يواجه الراصد أي مشقة في رصد مظاهر مآل اليه حال المسلمين والمجتمعات الاسلامية في بلاد العرب والاسلام وحتى في غيرها من بلدان العالم شرقيه وغربيه حيث تتعدد هذه المظاهر وتكثر التحديات التي تفرض نفسها على احوال المسلمين وسلوكهم وحياتهم المستقبلية .

فالحقيقة ان اوضاع المسلمين تدعو الى الحيرة والعجب وتزداد هذه الحيرة ويتضاعف هذا العجب حين يدرك المرء ان هذا المجتمع المسلم . اعني بلدان العالم العربي والاسلامي . يملك في ارضه وطبيعته العديد من الثروات والكنوز الطبيعية والجغرافية والبشرية ، ومعينا لا ينضب من الاصول الروحية والعقائدية التي

تكفل له حياة سعيدة هائلة في كنف العقيدة الاسلامية ، وان يعيش في بحبوحة العيش مثلما انه يملك زادا روحيا حضاريا وتراثا هائلا من الانجازات الحضارية والعلمية والادبية .

لكن هذه الطاقات والقدرات الطبيعية والبشرية والروحية اما مهدرة او ضائعة او مسلوبة او مغيبة .

ان هذه التحديات التي تواجه العرب والمسلمين كثيرة وهي تتربص بهم الا انني وعلى قدر طاقتي استطيع ان اشير فقط الى ما اراه يحقق لنا جدية التصدي وفاعلية المواجهة وايجابية المقاومة لكل مايهدد حاضر هذه الامة ومستقبلها ذلك ان مسئولية هذا الجيل . جد . مسئولية تاريخية وحضارية عظيمة .

ان ما اصاب المسلمين لم يكن بسبب شدة قوة الخصوم ، انما بقدر ما اصابها بفعل الهوان الذي اصاب الكثيرين منهم ، لقد تراجع المسلمون كثيرا ، وكلما ازداد تراجعهم تضخمت الهوة التي تفصل بينهم وبين غيرهم ، هذا التراجع الغير مبرر يصيب كل ميادين الحياة .

ففي ظل التغيرات السريعة والمتلاحقة التي اصابت العالم الحديث وولادة ما اصطلح على تسميته بالنظام العالمي الجديد وتزايد موجات العداء والاستعداء الغربي ضد كل ماهو مسلم واسلامي ، كان من الضروري ان يبحث العالم الاسلامي عن صيغة جديدة واسلوب قادر على المواجهة ضد هذا العداء المتعدد المراحل والطبقات ، وكان من البديهي ايضا ان يدرك عالمنا الاسلامي ان لا مكان له في ظل النظام العالمي الجديد والعولمة ، التي يفرضها هذا

النظام لكي تكون هي دين العالم الجديد .

ان الاسلام والمسلمين مطالبون اليوم باستنفار القدرات الكامنة في العقيدة الاسلامية والشخصية المسلمة والقوى الذاتية في الدين ، واستنطاق عبقريته في البوح بكل مكنوناتها وهذه جميعا قادرة على تجميع قوى الامة لمواجهة هذه التحديات ومواجهة الاخر حوارا ، او صراعا في أي ميدان يريد او يسعى اليه ، كما انها مطالبة باستنفار كل طاقاتها الحاضرة والمستقبله سعيا نحو تاكيد الوجود والحضور الحضاري الذي لن يضيع .

ثقافة الكراهية
إرهاصة أمريكية بعصر صدام الحضارات

سالني سائل بعدما شاهد وتابع احداث السيناريو المرير الذي تم عرضه على شاشات الفضائيات العربية وغير العربية ، على مدار الساعة ، وهو السيناريو الذي اسفر عن احتلال دولة عربية مسلمة ، عضو في كافة المحافل الدولية ، هو العراق ، دونما سند من قانون او شرعية ، او حتى صدق النوايا ، حيث افصحت الاحداث عن حجم الكراهية التي يكنها المستعمر الامريكي لكل ماهو عربي واسلامي ، وبالتالي شحن السؤال التالي في نفوس وصدور العرب والمسلمين : لماذا نحن مستهدفون ؟

واستكمل السائل سؤاله ، اذا كانت الديموقراطية كما يدعون ، فان نصف العالم ان لم يكن كله ، لايعرف من الديموقراطية الا اسمها ، وان كانت حقوق الانسان ، فعليك ان تنظر يمينا وشمالا ، وسوف تجد انسان اليوم ، صريع كل السياسات والايديولوجيات

والنظريات والادعاءات ، وان كانت اسلحة الدمار الشامل التي يملكها العرب او بعض العرب ، فالعالم مليء بهذه الاسلحة ، كما لم يثبت للان تملك العراق لهذه الاسلحة . وكيف ان اسرائيل تعد الدولة الخامسة في العالم من حيث التسليح النووي والكيميائي والجرثومي في العالم ، وان كان لحرب الارهاب والقضاء عليه ، فان الارهاب القادم من كل اتجاه في العالم ، اصاب العرب والمسلمين ، مثلما اصاب بضع اماكن حول العالم ، بل ان المسلمين هم من اوائل ضحايا الارهاب حول العالم ، ولكم في الارهاب الاسرائيلي اسوة سيئة وقبيحة .

اذا كان العالم ، يحتوي كل هذا الكم من المثالب وتحوطه كل هذه الاتهامات من كل جانب ، لماذا هم العرب والمسلمون وحدهم هم المعنيون بالامر ، وهم الذين يستقبلون التهديد والوعيد وتتعرض ثرواتهم للنهب ، وارضهم للاحتلال ، وشعوبهم للاذلال والاحتقار ، ومستقبلهم للخطر والدمار ، دون بقية شعوب العالم .

وفي حقيقة الامر ، فان الاجابة التي احاول ان استجمعها ، اجدها عاجزة عن الرد ، او الاقناع .

لكنه من المقنع والانصاف هو ان نشير الى اننا كعرب ومسلمين نتحمل جزءا كبيرا من مسئولية مايجري في العالم ، ومايجري على ارضنا العربية والاسلامية ، وانا هنا لن افرق بين العرب والمسلمين ، فكليهما مستهدف ، ومطلوب حصاره والقضاء عليه ، خاصة وبعد ان اصبح العالم يشير على كل مسلم وعربي ، بانه ارهابي ، ومتعصب ومشاغب ولايؤمن جانبه .

ولعلي اشير هنا الى ان عملية الاستهداف هذه ، تقودها الولايات المتحدة الامريكية ، والصهيونية العالمية ، ولعلي اشير الى اهمية اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية ، الذي اصبح يشكل السياسة الخارجية الامريكية ، ويملك من قوة التاثير مايمكنه من تصنيف العالم ، وتوجيه القادة في الولايات المتحدة الامريكية ، بهدف الدفاع عن المصالح الصهيونية والاسرائيلية في العالم ، وبالذات في الارض العربية .ولعلها المرة الاولى في التاريخ المعاصر ، ان تقوم دولة ذات سيادة بحجم واهمية الولايات المتحدة الامركية ، بحروب عسكرية وسياسية واقتصادية ودبلوماسية وعلمية وغير ذلك ، نيابة عن دولة اخرى . هي اسرائيل . ولصالحها ، حتى ولو كانت هذه الحرب ضد مصالحها نفسها .

هذه هي الحرب التي تقودها الولايات المتحدة الامركية ضد كل ماهو عربي ومسلم .وقبل ان اجيب على السؤال الهام الذي بدات به مقالتي ، ارجو ان املك الفرصة كي افسر كيف ان السلام مثل الحرب ، والمقاومة مثل الاستسلام ، هي حالة ثقافية معينة تمر بالانسان في مراحل عديدة من حياته، وهي بالتالي تتحكم في كثير من تصرفاته وقناعاته وسلوكياته الانية والبعيدة ، كما انها نتاج مناخ ثقافي معين ، يحيا الانسان تحت تاثيره ، وهذا الذي يتحكم في الانسان ، هو نفسه الذي يتحكم بالامم والشعوب ، حيث ان مايصدر عن حكام شعب من الشعوب ، هو نتاج ثقافتهم ، وقناعاتهم الفكرية والعقدية ، ومايعتقدون فيه من افكار ، ومفاهيم .

وفي اعتقادي ان ماصدر عن سلوكيات وسياسات اطلقها قادة الادارة الامريكية ، تجاه العرب والمسلمين وبخاصة بعد احداث سبتمبر ٢٠٠١ ، انما هي صادرة عن حالة ثقافية معينة ، لايمكن ان نصفها الا بانها ثقافة الكراهية ، ان لم يكن هناك تفاسير اخرى تدور حول نفس المعنى .

فلقد نجح اللوبي الصهيوني ، والاعلام الامريكي الذي يسيطر عليه اليهود والصهيونيون ، في اشاعة هذه الثقافة ، وترسيخ عدد من المفاهيم التي تتسق واتجاهات الصهيونية العالمية ، في الصاق كل نقيصة واتهام بحق العرب والمسلمين ، واستمرت كافة وسائل الاعلام الامريكية من صحف واذاعات وفضائيات وكتب ، والتي تدور عجلاتها صباح مساء ، وهي تعمل على العداء للعرب والمسلمين في كل بقاع الارض . والسؤال هو : كيف تشكلت هذه الثقافة ؟

كيف تبلورت ؟

كيف اتخذت طريقها الى التنفيذ ؟

هذا هو السؤال الذي يجب علينا ان نجيب عليه .

فالولايات المتحدة الامريكية لها اجندتها الخاصة التي تسير بها امور سياساتها الخارجية ، اضافة الى نظرتها الى العالم ، وعقيدتها الجديدة التي تحاول فرضها على العالم .حينما اندلعت الحرب العالمية الاولى ، اشتركت الولايات المتحدة الامريكية في اواخر ايامها ، وحين انتهت الحرب بانتصارها ، سارعت بانشاء نظام عالمي جديد وكانت عصبة الامم .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، شاركت ايضا الولايات

المتحدة الامريكية في الحرب في اواخر ايامها ، وحين تحقق الانتصار ، سارعت بانشاء نظام سياسي عالمي جديد ، فكانت الامم المتحدة .

ونظام اقتصادي جديد هو نظام سياسة السوق ، وكانت الجات ، ونظام مالي جديد هو بريتون وودز ، ومؤسسات مالية ونقدية جديدة هي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير ، ونظام عسكري جديد هو حلف الاطلنطي .

وعندما اندلعت حرب تحرير الكويت في العام ١٩٩١ م ، وانتصار التحالف العسكري الذي تشكل لتحرير الكويت ، اعلن جورج بوش الاب ، عن بدء نظام عالمي جديد ، وتدشين العولمة التي هي امتداد للفكر العولمي الذي اطلقه الكاتب الالماني ماكلوهن ، حين بدا العالم يستشعر اهمية ثورة الاتصالات التي حدثت والتي كان من نتائجها بدء ثورة علمية جديدة قوامها الاتصالات وسياسات السوق الحرة ، والتحول الثقافي وانتشار الفضائيات وثورة الاعلام الحر ، ومن ثم اصبح العالم مثل قرية كونية صغيرة ، قبل ان ينام العالم في أي مكان يعرف الانسان فيه مايدور في اقصى بقاع الارض ، وبـ " كبسة " زر صغير .

وها هي الولايات المتحدة الامريكية ، وبعد الزلزال الهائل الذي هز كيانها ، في اعقاب الحادي عشر من سبتمبر ، غدت تنظر الى العالم نظرة استعلاء واستعداء ، ومن ثم راح الاعداء من وجهة نظرها يتناقصون ولم يبق امامها الا العرب والمسلمين ، حين حملت البعض منهم مسئولية ماجرى ، ومن ثم صنفت العالم

الى اعداء وحلفاء ، وجعلت من حربها ضد الارهاب ، وسيلة لتحقيق الامبراطورية الامريكية المعاصرة ، ويحدوها الامل في ان تصبح سيدة العالم ، وما فتئت تبحث عن مبرر او ذريعة كي تحقق الهيمنة الامريكية على العالم ، وبعد ان عجزت عن تمرير العولمة سلما ، راحت تنفذ " المنافستو " المعاصر نحو قيادة العالم ، وعولمته بطريق العنف والحرب ، وبتجنيد الجنود ، وتحريك الجيوش ، والاساطيل لمحاربة العالم بدعوى مقاومة الارهاب والبحث عن اسلحة الدمار الشامل التي لم تجدها ، وكانت العراق ومن قبلها افغانستان نقطة التحرك الاولى نحو تنفيذ الاجندة الامريكية الصهيونية ، مستخدمة اسلوب سقوط احجار الدومينو التي شرحها العراب الامريكي زيجنيو بريزينسكي .

لقد نجح الاعلام الامريكي وبعض رموز الثقافة الامريكية في اطلاق مقولة "فوبيا الاسلام" بعد ان تم ازاحة الاتحاد السوفيتي والفكر الاشتراكي من اجندة العداء للغرب والولايات المتحدة الامريكية ، هذه الفوبيا التي راحت تتعاظم يوما بعد يوم .

ومنذ ان انطلقت الحرب على العراق ، والتي شنتها الولايات المتحدة الامريكية دون دعم او سند او شرعية دولية ، وسقوط كل المبررات والاعذار والذرائع مثل اوراق التوت ، في فصل خريف اصابته رياح العولمة المسلحة ، اطلقت الولايات المتحدة الامريكية ، مقولتها وسياساتها الجديدة ، فيما يمكن ان نطلق عليه ، عالم مابعد سقوط العراق ، والواقع الجديد الذي افرزه الاحتلال الامريكي للعراق .

لعلي اشير هنا الى ان المسئول عن حالة العداء للعرب والمسلمين ، تعود الى ثقافة الكراهية التي استطاع الاعلام والمفكرون الى جانب المثقفين الامريكيين اطلاقها والترويج لها . وفي الحقيقة بعضهم من ذوي التاثير على صانعي القرار في البيت الابيض وفي البنتاجون وفي غير مكان يشارك في صنع القرار الامريكي وبخاصة الكونجرس الامريكي الذي لايترك مناسبة الا واظهر العداء لكل ماهو عربي ومسلم. هؤلاء جميعا ساهموا في اشاعة جو العداء ، وابتكار ثقافة الكراهية التي كانت السبب وراء كل سياسات الادارة الامريكية المعادية والمحرضة ضد العرب والمسلمين والتي اتخذت اكثر من طريق وسبيل والتي انتهت باحتلال العراق ، وتثبيت الاحتلال والاستيطان الاسرائيلي في ارض فلسطين ، والبقية سوف تاتي ، وفق الاجندة الامريكية المعلنة التي لا تخفى على احد ، الا العرب والمسلمين فقط .

ولعلها مفارقة غريبة ونحن نعيش بدايات الالفية الثالثة بعد الميلاد ، وفي حين يتخلص العالم كله من الاحتلال ، وعصور الاستعمار الكولونيالي ، تاتي الولايات المتحدة وحليفتها المملكة المتحدة ليحتلا العراق ، وتعمل الولايات المتحدة بكل ماتملك من اسلحة ومكائد وخطط وسياسات على الابقاء على الاحتلال الاسرائيلي والتوسع الاسرائيلي في ارض فلسطين ، الامر الذي يؤكد ان العرب والمسلمين فقط هم المستهدفون من السياسات والنظريات الامريكية ، والتي تعتمد على القوة العسكرية ، سعيا نحو فرض الهيمنة الامريكية ، وفرض سياسات العيش على

الطريقة الامريكية ، مهما قاومت هذه الشعوب ، ومهما اعلنت عن احتجاجها وكراهيتها لهذه السياسة .

وبصرف النظر عن ماهية هذه السياسة التي تمارسها امريكا نحو العالم ، فان اللافت للنظر هو ان الخلفية الثقافية التي يصدر عنها ماتراه اليوم على مسرح السياسة الدولية ، يؤكد مما لاشك فيه ،انها تصدر عن جهل تام بالاسلام والثقافة الاسلامية ، وجهل تام بتاريخ وجغرافية العالمين العربي والاسلامي ، وبتاريخ وجغرافية الشرق الاوسط ، وانها صادرة عن ثقافة شاملة قوامها الكراهية لكل مايمت للعرب والمسلمين بصلة ، كما وان مواقف العداء التي وجهت الى الاسلام والمسلمين في العالم ، انما هي بفعل الاعلام الصهيوني الموجه ، واراء بعض مثقفي وكتاب وادباء امريكا المنحازين الى الفكر الصهيوني ، والمبني اساسا على فكرة العداء للعرب والاسلام ، وهي قائمة طويلة يتصدرها توماس فريدمان ، وفوكوياما ، وهانتنجتون ، ولويس برنارد وغيرهم كثير ، وهم ذلك القطيع الذي يتأثر به اقطاب السياسة الامريكية ، وهم ديك تشيني نائب الرئيس الامريكي ، ودونالد رامسفيلد ، وكونزاليسا رايس ، واخيرا وزير الخارجية الامريكي كولين باول ، وهي المجموعة التي تتولى طبخ توجهات السياسة الامريكية تجاه العالم ، وبلورة الياتها نحو قيادته ، وهم الذين يديرون الحرب من البيت الابيض الامريكي ، ووزارة الدفاع ، حتى وزارة الخارجية الامريكية ، نضيف اليهم قائد هذه المجموعة ، وهو الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش .

فماذا يقول هؤلاء الكتاب ؟

وعلى الرغم من كثرة ما قيل ، ودونته الكتب والصحف الامريكية والغربية بشكل عام ، الا انني سوف اتخير بعضا منها مما يعكس هذه الروح العدائية ، وثقافة الكراهية التي دفعت استطلاعات الراي في الولايات المتحدة الامريكية الى الكشف عن موافقة اغلبية معقولة من الشعب الامريكي لحرب افغانستان ، واحتلال العراق برغم سقوط كل الاتهامات والذرائع والحجج التي ساقتها امام العالم والتي لم تقنع ايا من شعوب الارض قاطبة ، الا الشعب الامريكي والشعب البريطاني ، فيقول ايموس بيرلموتر " ان الطبيعة الحقيقية للاسلام الاصولي ، ليست فقط مقاومة الديموقراطية لكنها كلية الاحتقار والعدائية للثقافة السياسية الديموقراطية برمتها ، ان الاسلام الاصولي حركة ثورية عدوانية مماثلة في شراستها وعنفها للحركات البلشفية والفاشية والنازية التي ولت ، وانه يتحتم على الولايات المتحدة الامريكية ان تحذر من هذه الحركة ويجب ان " تخنق في المهد " ويستكمل هانتنجتون هذا التوجه بالقول " ان اهم النزاعات التي سوف تجرى على الحدود الثقافية التي تفصل الغرب عن حضارات غير غربية على الجانبين كليهما ، يرى ان التفاعل بين الاسلام والغرب صداما بين حضارات متكهنا بان الحرب العالمية القادمة سوف تكون بين الحضارات ، وهو بهذا القول يجيب على تساؤلات برنارد لويس الذي قال قبلا : ان الصراع الحالي لا يقل عن كونه صدام حضارات هو رد فعل لعمل لا عقلاني لكنه قطعا تاريخي من

مزاحـم عهد تراثنا " اليهوسيحي " وحاضرنا العلماني وتوسعهما كليهما عالميا ."بل ان معظم الكتاب الامريكيين قد خلصوا الى القول بان الاسلام حل محل الشيوعية كالخطر الاستراتيجي ، لفترة مابعد الحرب العالمية الباردة ، ذلك ان الخطر الجديد مساو في شره لامبراطورية الشر القديمة التي استراح منها العالم في السابق .

ويتواصل مع هذا الطرح ، واحد من الكتاب الامريكيين يدعى جوناثان باريس في معرض حديثه عن الاسلاميين " فيقول : ان الاصوليين يتحدون الغرب بصورة اعمق مما فعله ويفعله الشيوعيون فهؤلاء الاخرون يختلفون مع سياساتنا وليس مع نظريتنا المجملة الى العالم ، بما فيها طريقة لبسنا وتزاوجنا وصلاتنا ، بل انه لايقيم تمييزا في كتاباتهم بين الاسلام كدين وبين الاسلام السياسي كايديولوجية ، فيقول : الامريكيون يعرفون خصمهم عندما يرونه ، والاسلام خطر على الغرب ، مثلما الشيوعية ابان الحرب الباردة ، ويستمد الكاتب دانيال بابيس ، المدد من نظرائه الكتاب المحرضين والمتصدين للوجود الاسلامي في الولايات المتحدة الامريكية ، فيقول يجب علينا ان نحارب الاسلامويين الراديكاليين وان يهزموا .

بل ان احدهم وهو روبرت ساتلوف مدير معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى قال ان على الولايات المتحدة الامريكية اتخاذ الاجراءات الفعالة للانضمام الى المعركة التي تشنها بعض حكومات الشرق الاوسط على اسلامووييها حتى ولو ادى ذلك الى

ان نجد انفسنا مطاوعين لبعض الاعمال القذرة التي يقوم بها المقززون فعلا ، ويضيف بقوله : ان المعركة رغما عن كل شيء اخر ، هي معركتنا نحن .

"هنا يكمن الغطاء الفكري والثقافي الذي يصدر عنه الساسة الامريكيون " الذي هم في الحقيقة يجهلون . مثلهم في ذلك مثل الشعب الامريكي كله . كل شيء عن الاسلام كما انهم لا يعرفون شيئا عن المسلمين ، وحضارتهم وعطائهم التاريخي والحضاري والانساني على مدى التاريخ .ويستكملون بما يكتبون تراثهم الثقافي الذي يستهدف المسلمين والعرب .

الا انني استطيع القول . مكررا ماسبق ان قلته في مقام سابق . بان النظام الأمريكي الجديد ، يستهدف في اساس تكوينه تفكيك العالم الاسلامي ، وان ماجمعه الاسلام هم كفيلون بتفريقه وتقطيعه ، وهم يسلكون في سبيل تحقيق ذلك اكثر من وسيلة واكثر من سياسة ، والارهاب ومكافحته واحدة من هذه السياسات التي تبنتها الادارة الامريكية ، اضافة الى نزع أي قوة يملكها العرب والمسلمين ، والا من يفسر لنا حرص الولايات المتحدة الامريكية على نزع السلاح النووي العراقي على الرغم من النفي المتكرر للعراق تملكها أي سلاح نووي ، وبالقوة وباستخدام الامم المتحدة او قيادة أي تحالف دولي ، او حتى العمل العسكري المنفرد ، في حين انها تغض الطرف عن التسلح النووي الاسرائيلي ، بل انها تدعمه وتزيده ، وتتعامل بالسياسة والدبلوماسية واللامبالاة احيانا في مواجهة اعتراف كوريا الشمالية بامتلاكها السلاح

النووي .

واعتقد ان هذا مثال صارخ على ازدواجية المعايير في السياسة الدولية ، التي تقودها الولايات المتحدة ، وترسم معالمها ."

ان مقولة الرئيس الامريكي " جورج بوش " عندما دشن حربه المقدسة ضد الارهاب ، من ليس معنا فهو ضدنا ، والذي بسط فيه حرب العالم ضد الارهاب ، فقد عبرت هذه المقولة عن الازمة الحقيقية التي تعيشها السياسة الامريكية والدبلوماسية الامريكية والعسكرية الامريكية ، لقد اشارت ببساطة الى ازمة ثقة تعيشها الامبراطورية الامريكية المحتملة ، وان سيدة العالم تعيش ازمة حقيقية ، او ورطة تاريخية سوف تندم عليها مستقبلا ." هذه المقولة التي اطلقها بوش ، لم تكن لتنشأ من فراغ ، مثلها في ذلك مثل غيرها مما تم رصده من اقوال بوش واقطاب ادارته ، بل هي تعبير عن مايدور داخل النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية ، وعبرت بشكل دقيق عن كراهية امريكا للعالم العربي والاسلامي . هذه الكراهية تتعزز يوما بعد يوم ، وكأن الولايات المتحدة الامريكة تكتب اول فصول صراع الحضارات ، بدم العرب والمسلمين ، الذي اعتقد انه لن يسيل سدى ، ذلك ان التاريخ الذي لاتعرف الولايات المتحدة الامريكية قيمته ، يقول بان الحياة دول ، وان الزمن يدور دائما على الطغاة والمحتلين ، وعلى صقور الادارة الامريكية ان يجوبوا مكتبات العالم ، ويقرأوا جيدا كيف كان مصير كل الامبراطوريات الظالمة في العالم القديم والحديث ، وكيف سادت ثم بادت ..

الباب الثاني

نحن والآخر

نعوم : الكاتب المنشق .. والسؤال الصعب : لماذا يكرهوننا ؟

قديبدو مستغربا ان يهاجم . او ينتقد . امريكيا الولايات المتحدة الامريكية لانحيازها الكامل لاسرائيل ، أولعداء قيادتها لكل ما هو عربي ، الا ان هناك كاتبا أمريكيا . وغيره قليل . راح ينتقد السياسات الامريكية في الشرق الاوسط ويفضح ممارساتها في الشرق العربي ، ومعالجاتها لحربها ضد الارهاب الذي طالها ، وهز هيبتها وسط دول العالم ، بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخنا المعاصر .هذا الكاتب الجريء الذي نطق بالحقيقة ، وأجاب على السؤال الذي اعيا الامريكيين البحث عن جواب له .. لماذا يكرهوننا .. كان هذا الكاتب هو الامريكي نعوم تشومسكي .

هذا الكاتب ، عبر عن فكره ومداولاته كاتب اخر هو جيمس بيك ، حيث قال : أن تواجه عقلا غير رؤيتنا للعالم فانت امام تجربة قلقة ، لكنها من شدة اثارتها وقوة تاثيرها تجربة تحررك ، انها تجربة . كما يصفها بيك . مقلقة لانها تزعزع مسلمات ترسخت

طويلا في عقولنا ، وهي تحـرر العقل لانهـا تكشـف مـايجب ان تراه بتجرد " ، وهذا مايفعله نعوم تشومسكي الذي اكتب عنه الان .

ولمن لايعـرف نعوم تشومسكي ، فانه يعد اهم معارض امريكي ، ويقولون عنه انه المنشق الامريكي الاول ، عضـو مـعهد اللسانيات الامريكي الشهير(ام أي تي) .

وقبل أن يجيب على السؤال الذي طرحه ، ويردده الامريكيون كل يوم ، حتى ان الرئيس بوش نفسه ، طرحه على نفسه ، اثبت نعوم ان امريكا هي اول دولة خارجة على القانون ، مشيرا في ذات الوقت الى ان احداث ايلول ٢٠٠١ م لم تنشأ من فراغ ، وانما كانت نتيجة للعديد من الممارسات الخاطئة من القيادات الامريكية للمسائل العالقة في حياة الشعوب ، وبخاصة شعوب المنطقة العربية ، ومنطقة الشرق الاوسط .

يعيد نعوم تشومسكي تركيب الاحداث من بدايتها ، فيقول ان النظرية الحمقاء ، وهو اسلوب الردع الذي ابتكره الاستراتيجيون الامريكيون الذي يقول بان انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينات من القرن الماضي ، قد اصاب السياسة الامريكية بحالة من فقدان التوجه او البوصلة ، ويشير بان الكاتب الامريكي " صامويل هنتنجتون " كان اكثر الامريكيين صراحة حين اشار الى " تآكل المصالح الامريكية " وانه لم يعد هناك مجال للحرب الباردة او الساخنة ، لانتفاء وجود العدو الذي كان ولم يعد له وجود

الا ان اهم الاسئلة التي طرحت انذاك عن جدوى العلاقات

الخاصة مع اسرائيل ، بعد انتهاء دورها الاستراتيجي كخط دفاع اول عن المصالح الامريكية في المنطقة العربية ،خاصة بعد سقوط الشيوعية ، وماذا عن مستقبل العلاقات الاسرائيلية الامريكية ؟ فهو يجيب ويقول : لقد تعرضت السياسة الامريكية في العالم الى نوع من الفوضى ، حيث مالبثت امريكا ان تخلت عن ميلوسيفيتش ، واضطرت الى قصف يوغوسلافيا عملا على اسقاطه ، وبالفعل سقط وهاهو يحاكم كمجرم حرب ، وحين تنازل الاندونيسيون عن جزر تيمور الشرقية دون اثارة اية مشاكل ، وهنا اكد الامريكيون غموض سياستهم ، الامر الذي افزع الاسرائيليين واليهود الامريكيين على السواء ، بل ان بوش لم يعول كثيرا على اصوات اليهود في الانتخابات الامريكية ، وعمد الى استقطاب اصوات المسلمين وهي التي رجحت نجاحه ، ومن ثم وجدت اسرائيل نفسها ، وهي تتحول من شريك الى تابع ، عليه ان ينفذ الاوامر .

ومن ثم كان على اسرائيل ان تبحث عن عدو جديد تلهي به الادارة الامريكية حتى تعود الى سابق عهدها وتكون . اسرائيل . محور اهتمام القيادة الامريكية ، فساهمت من جانبها بخلق عدو جديد بديل للاتحاد السوفيتي والشيوعية ، ووجدت ضالتها في العرب ومحور الشر الذي بدات تخترعه ، وتعمل على تغذية حالة الفوبيا من هذا العدو المحتمل ، ومن ثم راحت تقنع الامريكيين بانه من الضروري ان تحارب الولايات المتحدة الامريكية وان تواجه هذا الخطر القادم من الشرق العربي والاوسط ، ومن هنا راح الامريكيون بدورهم يقنعون انفسهم بصحة الفكر الاسرائيلي ، بل

ان اليهود والدولة العبرية راحت من جانبها تفتعل الازمات وتزج بالعرب والمسلمين فيها ، وهناك أقوال ماتزال رائجة بان انفجارات ايلول التي اصابت الامريكيين هي من صنع اسرائيلي حتى يؤخذ العرب بجريرتها ، وتؤكد من جديد على اهمية اسرائيل للولايات المتحدة الامريكية ، ولعلنا ندرك بقية السيناريو الذي نشاهده اليوم حيا وعلى الهواء مباشرة ، من اختراع للارهاب وخطره على العالم ، والتلميح تارة بان العرب والمسلمين هم ارهابيون ، ثم نفي هذا ، ثم العودة لوصف الحرب بانها حرب صليبية ، ثم الاعتذار عنها ، وهكذا حتى يعيش العالم في بلبلة من الفكر ، والفوضى .

لقد اعادت الولايات المتحدة الامريكية ترتيب موقعها . بدافع من احداث ايلول ٢٠٠١ ، بوجود اعداء بدلاء عن العدو الذي فقدته . بتفكيك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية . فراحت تبحث عن عدو بديل . ومعها اسرائيل تقودها في ذات الاتجاه . وقد ارشدتها الى هذا العدو ، الى ان اكتشفت ضالتها في تعبير الدول المارقة او الخارجة على القانون والذي اصطلح على تسميتهم بالعراق وكوريا وايران وليبيا ، وقائمة طويلة من الدول التي ترعى الارهاب في العالم ، وهذه تسمية مطاطة ، سوف تطال كل من يعصي للامريكيين امرا في صراعها المزعوم ضد الارهاب .

والدليل على ذلك هو اتهامها للعرب والمسلمين وافغانستان بالتحديد بالضلوع في هذه التفجيرات ، ومن ثم حاربتها واسقطت حكومتها ونظامها هناك ، دون ان تتيقن فعلا ان افغانستان هي الفاعل ، ومثلما تفعل الان مع العراق ، التي ظلت وحتى يومنا

هذا تنكر تملكها لاسلحة الدمار الشامل ، وسعي امريكا الى ضرب العراق ، في حين تتمسك بالحل الدبلوماسي في مواجهة اعتراف كوريا الشمالية بامتلاكها اسلحة الدمار الشامل ، وهذا ينقلنا الى نقطة اخرى وهي ازدواجية المعايير ، وهي السياسة التي تتبناها الولايات المتحدة الامريكية في رؤيتها للصراع العربي ، الاسرائيلي ، والى الحقوق العربية الثابتة تاريخا وواقعا وقانونا .

ان الامر المثير للسخرية . وهذا كلام تشومسكي ، هو ان الولايات المتحدة الامريكية ، تحولت من مجرم الى شرطي ، ينفذ القانون . دونما سبب واضح . ومن ثم يظل يتستر بهذا الرداء حتى يواصل اجرامه المعروف ، ولقد اكد تشومسكي في اكثر من موقع ومن خلال كتابه الشهير الثلاثاء الاسود ، كيف ان الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الاكثر خروجا على القانون .وهي اولها في التاريخ القديم والمعاصر .وهنا استطيع ان احيل القاريء الى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الذي اقول عنه انه تاريخ مستوطنين ، وغزاة قدموا من اوروبا ومن شرق اسيا ليقيموا في امريكا الجديدة على حساب اهلها الاصليين وهم الهنود الحمر .

ويقول نعوم في مواقع اخرى من احاديثه التي يوالي نشرها من حين لاخر ، كيف ان امريكا هي التي تدعم الارهاب الاسرائيلي ، ودلل على ذلك بالعديد من الوقائع والاحداث التي اعيد التذكير بها في النقاط التالية :

●● خلال فترة الثمانينات كانت الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل تسعيان من اجل تجنب المبادرات التي تقدمها منظمة

التحرير الفلسطينية لاجراء مفاوضات وايجاد تسوية سلمية للصراع ، بينما كانت اسرائيل مصرة على لاءاتها الثلاثة ان لا للمفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ..وان لا للدولة الفلسطينية .. وأن لا لتغيير الاوضاع في يهودا والسامرا وغزة ..

•• الحماية السياسية والدبلوماسية التي تسبغها الولايات المتحدة على اسرائيل في الامم المتحدة ومجلس الامن ، وتجنب ادانة الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ، واستخدام الفيتو باستمرار للحيلولة دون اصدار اية قرارات من مجلس الامن ضد اسرائيل ، وحتى في القرارات التي كانت تصدر ، كانت دائما ما تسعى اسرائيل الى التخلص من تبعاتها وعدم الالتزام بها ، ودائما تجد الولايات المتحدة المدافع عنها والمبرر لكل تصرفاتها .

•• اعتراف امريكا الفوري بالكيان الاسرائيلي فور اعلان دولة اسرائيل باقل من ساعة ، وتوفير الدعم المالي والسياسي لتاسيس الدولة العبرية .

•• عندما عرض الرئيس المصري ابرام اتفاقية سلام مع اسرائيل ووافق عليها حزب العمل انذاك ، الا ان الولايات المتحدة ماطلت في عرض المبادرة حتى تتمكن اسرائيل من بناء المستوطنات في شمال شرقي سيناء ، وقد قامت بعمل كل هذا بوحشية وسرعة متطرفة ، وكان هذا هو السبب الفوري لحرب اكتوبر ١٩٧٣م .

•• رفض عروض السلام التي كانت تطلقها القيادة الاردنية ، بايعاز من الولايات المتحدة ، ولعلنا نجد في هذه السياسات التي

كانت تتبعها الولايات المتحدة ، التعليمات التي تركها والنهج الذي اختطه هنري كيسنجر ، والذي يعد واحدا من ابرع من قاد السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ، فقد كانت اسرائيل تقبل المفاوضات حين كانت ترغم عليها ، اما غير ذلك ، فعلى اسرائيل ان تستخدم القوة والردع ، في مواجهة العرب .

●● رؤية الصراع العربي الاسرائيلي بعين واحدة ، التي هي في صالح اسرائيل والدولة العبرية ، حتى حين صدرت قرارات الامم المتحدة بالتقسيم الذي رفضه العرب في العام ١٩٤٨م ، نجد الولايات المتحدة الامريكية تسعى الى تضييع الحقوق العربية في الاراضي العربية .

●● حتى حين استخدمت الولايات المتحدة الامريكية شماعة مكافحة الارهاب ، سعت في المقابل بتغذية الارهاب الاسرائيلي وامداده بكافة انواع السلاح ، للدفاع عن نفسه في مواجهة الارهاب الفلسطيني المغلوب على امره .وعليكم ان تتخيلوا حجم المفارقة ، تزيد الظالم والمغتصب قوة ، وتعمل على اذلال واضعاف الجانب المظلوم .

ويضيف الكاتب الامريكي المنشق ، كيف ان العالم يكره الولايات المتحدة ، ويرجع اسباب هذا الكره ، الى عدة اسباب ، لعل جوهرها هو ان هجمات الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ ، تنطوي بالتاكيد على فظاعات مروعة ، ولكن يجدر بالامريكيين ان يدركوا انها ليست سوى رد فعل على فظاعات لاتقل عنها حجما ترتكبها السياسة الخارجية الامريكية منذ سنوات .

فالولايات المتحدة الامريكية قضت وعبر القرون على سكانها المحليين باعداد تقدر بملايين الاشخاص ، واجتاحت نصف المكسيك وتدخلت بعنف في المنطقة واحتلت هاواي والفيلبين ، وقامت على وجه الخصوص خلال السنوات الخمسين الماضية باللجوء الى القوة في جميع انحاء العالم تقريبا ، واضاف بقوله : لا يمكن اعتبار الولايات المتحدة ضحية بريئة الا اذا كنا نجهل لائحة افعالها وافعال حلفائها .

ولعلي ابادر فاقول ان نعوم تشومسكي لايكتب مانعرض لبعضه هنا ، من موقع المتحامل على بلده الولايات المتحدة ، او أي من حلفائها ، باعتبارها كتلة واحدة موحدة من الشر والعدوان ، وانما من موقع المواطن الامريكي الذي يسوؤه مايبدر عن بلاده تجاه الاخرين ، وانه وان لم يكن اقل نقدا للسياسة الاسرائيلية في الاراضي العربية من سياسة الولايات المتحدة ، فانه لاينكر حق اسرائيل في الوجود ، بل ان نقده في اكثر الاحايين يسعى الى فضح سياسة بلاده وحلفائها ، حيث لايرمي الى تكريس التصورات والمزاعم التي يستوي وفقها الاجماع الامريكي ، وانما لكي يظهر مدى ضلال هذه التصورات هذا الكاتب ، بلغ به الغضب من سياسات بلاده ، ان وصف الرئيس الامريكي رونالد ريجان بانه اكبر ارهابي في العالم .وهو في كتابه المعنون " مظلة القوة الامريكية . الاعلان العالمي لحقوق الانسان ،وتناقضات السياسة الامريكية " فضح فيه المفارقات التي تعيشها السياسة الامريكية ، بين الاقوال والافعال .

كاتبنا ايضا ومن خلال احدث كتبه بعد احداث الحادي عشر من ايلول ، أشار الى التاريخ الارهابي للولايات المتحدة باعتباره الانطباع السائد عنها لدى اغلب دول العالم من نيكاراجوا الى السودان والعراق وغيرهم .. ففي نيكاراجوا في العام ١٩٨٠ م كان هناك الاف الضحايا ، وشن حرب اقتصادية شرسة ضد دولة صغيرة فقيرة ، وفي السودان كان ضرب مصنع ادوية الشفاء الذي كان يمد السودان باكثر من خمسين بالمائة من احتياجاته من الدواء ، وفي العراق مليون طفل على الاقل اعتبرهم تشومسكي ضحايا ارهاب امريكي من نوع خاص .والكيل بميكالين وسياسة امريكا المزدوجة ازاء الممارسات الاسرائيلية والعراق احتل مساحة كبيرة من الكتاب واما عن النظرة الى العرب باعتبارهم جميعا اصوليين ، واغلبهم ارهابيين ، قال تشومسكي بان احدا لا يمتلك الحد الادنى من العقل ليس بامكانه قول ذلك ، وفي المقابل فان الولايات المتحدة الامريكية ، تعد واحدة من اكثر الثقافات دينية وتطرفا في العالم على المستوى الشعبي ، وقد اكد تشومسكي بان الطالبان والاسلاميين المتطرفين هم الابناء المحتضنون من قبل الاجهزة الامريكية منذ العام ١٩٨٠ م .

وقد افاض نعوم في وصف العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، والعلاقة بين العراق والولايات المتحدة والذي يعبر بصدق عن ازدواجية في المعايير .

وينهي بقوله : للولايات المتحدة الامريكية تاريخ طويل في الارهاب الدولي وهي مستمرة فيه ، ويضيف ايضا ، هي جرائمنا

ونحن مسئولون عنها .

الا ان اهم ماطرحه نعوم تشومسكي في هذا المجال هو ان احداث ايلول الماضي ، قد اكدت على ان هناك مشكلة ما تعاني منها الامبراطورية الامريكية ، مضيفا بان امريكا في نصف القرن الماضي قامت وعلى وجه الخصوص بالمزيد من التوسع لفرض هيمنتها على العالم وعدد الضحايا هائل ، وللمرة الاولى تتجه المدافع الى الجانب الاخر ، هذا هو التعبير الدرامي الذي حدث .ويضيف بانه بالنسبة لاوروبا ، فانها قد عانت من الدمار كثيرا ، ولكن ومن خلال حروب داخلية ، قامت العديد من الدول الاوروبية بغزو الكثير من دول العالم بوحشية ، وباستثناء حالات نادرة لم يقم أي من ضحاياها بالهجوم عليها ، فانجلترا لم تهاجم من قبل الهند، وبلجيكا لم تهاجم بواسطة الكونغو ، وايطاليا لم تهاجم من قبل اثيوبيا ، ولم تهاجم فرنسا من قبل الجزائر ، ولا يثير الدهشة ان تصدم اوروبا صدمة مروعة من احداث ١١ ايلول ليس بسبب حجمها ، ولكن بسبب معناها .

ويحلل ماجرى بقوله : ان هذه الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة لا تقدم لنا مشهدا جديدا ولكنها تؤكد على وجود مشكلة ما داخل الامبراطورية المشكلة تتصل بالقوة والنفوذ السياسي ، فمن قاموا بهذا العمل يستمدون العون عبر ذخيرة المرارة والغضب تجاه سياسات الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة ، وهي سياسات منحازة ، ومنحازة جدا ، وهي لا تتجاوز ماقام به المستعمرون الاوروبيون السابقون ، ولذلك فقد كان رد

الفعل الامريكي معقدا للمشكلة بدلا من ان يحلها ، ومع ذلك فان حل المشكلة ليس مستحيلا ، حيث يتطلب الحل النظر الى كل هذه الاعتبارات .

وبعد لعلي اكون قد حالفني للتوفيق في استعراضي لاجابات نعوم تشومسكي على اسئلته حول كراهية العالم لامريكا ، حتى يدرك الجميع ، بان العداء والحب هي من اشد خصوصيات ومسئولية من نحب .وعليه فاني ارى ان الولايات المتحدة الامريكية وقادتها وشعبها الطيب ، مسئولون جميعا عن هذه الحالة العاطفية التي تجتاح العالم كله ، شرقا وغربا ، وعليهم جميعا التخلص من هذه الحالة وباسرع مايمكن .

بول فندلي :
متى تتحرر سيدة العالم ؟

اتفق اكثر من ثلاثة وعشرين كاتبا ومفكرا من جميع انحاء العالم على ان يطلقوا على الولايات المتحدة الامريكية لقبا ، اعتقد ان الامريكيين يشاركونهم الاقتناع به ، كما اعتقد انهم يحبونه ، فقد قالوا عنها انها سيدة العالم .هؤلاء الكتاب كانوا ثلة من السياسيين الاستراتيجيين من امريكا وروسيا وفرنسا وقد اتفقوا على امرين في غاية الاهمية ، الاول هو ان الولايات المتحدة اصبحت منذ سقوط حائط برلين في العام ١٩٨٩ م ، وتفكك الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٩١م ، سيدة العالم بلا منازع ، تقوده الى حيث تريد وتحكمه بكافة وسائل القوة والجبروت ، ومايسمى بدبلوماسية الدولار ، والشيء الثاني هو ان النظام العراقي الذي سقط قد استنفد مدة صلاحيته ، وكانت مناسبة اطلاق هذا الاسم ، هو اختياره عنوانا لكتاب صدر اخيرا باسم "

أمريكا .. سيدة العالم " والكتاب عبارة عن مقال سياسي عن الشرق الاوسط ، باعتباره اكثر مناطق العالم حيوية ، للمصالح الامريكية بسبب ثرواته البترولية من جانب والتحالف بين واشنطن وتل ابيب من جانب اخر .

ولقد شدد الكتاب على ان امريكا مسجونة ، بحق في تحالفها مع اسرائيل ، هذا التحالف الذي تمليه اسباب سياسية داخلية في امريكا فضلا عن ان اسرائيل هي الحليف الاستراتيجي الوحيد للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة .

وكان بول فندلي واحدا من الكتاب الامريكيين الذي اقتنع بسيادة امريكا على العالم ، ولكن من منطلق اخر ، يعني ان هذه السيادة تفرض على امريكا واجبات والتزامات غير تلك التي تمارسها الان في منطقة الشرق الاوسط .

وكاتبنا الذي نعرض لافكاره التي نسطرها الان هو بول فندلي

لقد خلص بول فندلي . وهو الكاتب الامريكي الذي تحفل اصداراته من الكتب والدراسات بمحاولة انصاف العرب والمسلمين ، وذلك كونه مدركا تمام الادراك بالعرب والمسلمين وتاريخهم والقيم التي يؤمنون بها ، والارث التاريخي والعقدي الذي يؤمنون به ويعتقدون فيه ، وله في هذا المجال العديد من الاصدارات التي تمت ترجمتها او تلك التي لم تتم ترجمتها بعد .

فهو يقول بانه ربما لم تكن هجمات الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ م ، لتقع لو ان الولايات المتحدة الامريكية رفضت مساعدة اسرائيل في اذلال وتدمير المجتمع الفلسطيني ، واعتقد انه لم تكن

لتقع هذه الكارثة لو ان اي رئيس امريكي تسلح بالحكمة والشجاعة ، على مدار الخمسة والاربعين عاما الاخيرة ، واتخذ قرارا بتعليق جميع هذه المساعدات حتى يتم انسحاب اسرائيل من الاراضي التي استولت عليها بعد اعتداء عام ١٩٦٧ م على اقل تقدير.

وهو يذهب ابعد من ذلك ، حيث يقول بان اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية .يتمتع بالقوة والنفوذ لدرجة انه سوف يمنع أي رئيس امريكي يلجأ الى فضح الممارسات الاسرائيلية التي اصبحت تجر العار على الأمريكيين وقادتهم ، ومن ثم تعليق المساعدات التي تقدمها الى الكيان الصهيوني في فلسطين.

يقول فندلي ، بان الحكومة الاسرائيلية الحالية مصممة كسابقاتها على الاستيلاء على الضفة الغربية بهدف قيام اسرائيل الكبرى ، حيث ان اليهود المتشددين يلعبون دورا مهما في السياسة الاسرائيلية ويعتقدون ان المنقذ لن ياتي الا عندما تصبح اسرائيل الكبرى واقعا ، ولذا فانهم ايضا مصممون على منع الفلسطينيين من تكوين دولتهم المستقلة الخاصة بهم في الضفة الغربية وقطاع غزة .

ويقول ايضا ، ان اسرائيل تستخدم في عدوانها المستمر على الفلسطينيين ذريعة القضاء على الارهاب ، بيد ان قواتها تعمل على تنفيذ السياسة التوسعية في الاراضي الفلسطينية وبذريعة مكافحة الارهاب وبغطاء كامل من الولايات المتحدة الامريكية ، لقد كان الانحياز الامريكي لاسرائيل انحيازا كاملا ، ودائما ،

ومستمرا ، وابديا ايضا .

ولا يفتأ يردد كاتبنا الشهير ، بان الناخبين الامريكيين مايزالون يعانون من تضليل التغطية الاخبارية المنحازة لاسرائيل ، حيث لا يدرك الامريكيون كيف يتصرف الكونجرس الامريكي وكأنه احدى لجان الكنيست الاسرائيلي الفرعية .

هذا الانحياز الذي يلحظه كل من في العالم ، ويحرص على متابعة احداث الشرق الاوسط ، واخبار الصراع العربي الاسرائيلي ، حيث تعمل وسائل الاعلام على تغطية الممارسات الاسرائيلية ، وشجب رضا وتواطؤ الولايات المتحدة ، وقد وصل التضليل الاعلامي مداه ، حين نسمع الرئيس الامريكي جورج بوش وهو يصف ارييل شارون الملطخة يداه . وكل جسمه . بالدم الفلسطيني والعربي ، بانه رجل سلام ، وبانه صديق عزيز ، وبأنه يتعامل بانسانية مفرطة مع الفلسطينيين .

يعود بول فندلي ويعلن بملء فيه ، ان لا شيء يبرر هجمات سبتمبر ، فالمتورطون يستحقون اقصى عقاب ، ولكن على الولايات المتحدة فحص الدوافع بدقة وعناية ، الارهاب ينبع دائما من الاحساس العميق بالمظالم ، فاذا بات من المكن ازالة هذه المظالم ، او تخفيضها فانه يصبح من الممكن اخضاع الارهابيين .

وبمرور الوقت ، تزداد قناعة بول فندلي بان اسرائيل دولة تنتهك القانون ، ويجب ان تعامل على هذا الاساس ، وبدلا من مساعدة شارون على زيادة بؤس الفلسطينيين يتوجب على الرئيس الامريكي بوش ، تعليق كل المساعدات الامريكية لاسرائيل حتى

تنهي احتلالها للاراضي العربية التي احتلها ، وعندها سوف يجبر شارون على التخلي عن كل ما استولت عليه اسرائيل ، او يرحل تاركا المجال لغيره ، ذلك ان الناخب الاسرائيلي لا يقدر على تحمل وزر اغضاب الولايات المتحدة الامريكية .

وان حاول ان يفعل الرئيس الامريكي بوش ذلك ويسعى الى تحرير سيدة العالم ، من هذا الزواج القسري الذي لا فكاك منه ، فان عليها ان لا تدلل الزوج الاسرائيلي حتى لايزيد من طغيانه ، ويزيد من عزلة الولايات المتحدة الامريكية في مواجهة العالم ، وعندئذ سوف يخسر الزوجان كل شيء في هذه الحياة .

محور اخر ، ظل بول فندلي ، يوليه اهتمامه ويكرس قلمه للحديث عنه ، الا وهو العالم الاسلامي ، حيث انفق اعواما كثيرة يطوف البلدان العربية والاسلامية يتعرف عليها وعلى مايحيط بها من قيم وتعاريف في ذهن الامريكيين من نماذج وصور ، زائفة ، ثم الحديث عن انشطة الجاليات الاسلامية في امريكا ، مبرزا التقدم الكبير الذي تحققه الجالية في نطاق السياسة الامريكية .

ويعد بول فندلي وهو المسيحي الامريكي ، واحدا من الكتاب القلائل الذي جعل كل همه ابراز الدور الحضاري الذي يقدمه المسلمون ، حيث راح يوثق ويدحض بالتفصيل النمذجة السلبية السائدة عن الاسلام والمسلمين في امريكا ، حيث سبق له تاليف اربعة كتب اثنان منها عن الصراع العربي الاسرائيلي واستفاد فيها كلها من خبرته كعضو في الكونجرس الامريكي ، وفي لجنة شئون الشرق الاوسط في مجلس النواب الامريكي ، اضافة الى معرفته

الشخصية بالمنطقة وقادتها وعلاقاته الواسعة بالجالية المسلمة في انحاء الولايات المتحدة .

يكتب فندلي فيقول : اغلبية الشعب الامريكي لم تقرأ سورة واحدة من القران الكريم ، ولم تقابل شخصا تعرف انه مسلم، وتستمد تصوراتها المشوهة عن الاسلام من نتف الاخبار التي تذيعها شاشات التليفزيون وعناوين الصحف والتي تربط زورا وبهتانا بين الاسلام والارهاب والاستهانة بالمرأة .

ويقول مؤكدا ، انه لايوجد امريكي واحد يعرف شيئا عن مباديء واهداف الاسلام ، وقيمه وغاياته ، ولايدرك معاني تلك القيم التي يؤمن بها المسلمون من توحيد وسلام وتسامح واحسان ورحمة ، وحقوق المراة . المسلمة . التي فاقت حقوق المراة الغربية .وهو يقول في موضع الجازم بان " الاسلام ربما يكون المؤثر التحرري الاقوى في التاريخ فيما يخص وضع المرأة في شكل اكثر بكثير مما في اليهودية او المسيحية ."

ويقول في موضع اخر بان العرب والمسلمين لايكرهون الامريكيين ولا امريكا ، المجسدة في اعلان الاستقلال ، لكني اعتقد بانهم يكرهون السياسات التي ينفذها الامريكيون منذ ٣٥ عاما والتي بموجبها قامت الحكومات الامريكية المتعاقبة بتمويل ودعم الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ومعاملتها الوحشية للشعب الفلسطيني ، ولان معظم الامريكيين لا يدركون ببساطة حقيقة مايجري في الشرق الاوسط ، ولايعرفون ان حكوماتهم شريكة لاسرائيل في هذه المعاملة الوحشية ، ولقد سبق وان ناديت

بان يوقف الرئيس الامريكي الدعم عن اسرائيل ، حتى ينتهي الاحتلال الاسرائيلي لارض العرب ، الا انه للاسف فان الرئيس واقع تحت التأثير الشديد للمسيحيين المتشددين الذين يدعمون فكرة اسرائيل قوية حسب معتقداتهم الدينية .

ويقول في موضع اخر ، من جهتي فقد قمت بدوري في مجال التعريف بالاسلام حينما الفت كتابي " لا صمت بعد اليوم " والذي عملت فيه على ايضاح صورة الاسلام في وسط غير اسلامي في الولايات المتحدة الامريكية .

في كتابه المشار اليه ، يخلص الكاتب في فصله الاخير على القول بان الرئيس جورج بوش مدين بفوزه للناخبين المسلمين ، وهنا انهي حديثي ببعض الاشارات التي وردت به ، فيقول : صنع المسلمون تاريخا سياسيا خلال الحملة الانتخابية الرئاسية عام ٢٠٠٠ م ، وكنت بفضل علاقات صداقة طويلة الامد وبحكم الواقع شاهدا على ماكان يتخذ من خطوات رئيسية في اتجاه النضوج السياسي .وعلى رغم تأييد المسلمين عدد من السياسات الداخلية للولايات المتحدة الامريكية ، التي ينادي بها ال جور (وهو المرشح الرئاسي المنافس لجورج بوش) فقد كان لديهم اولويات اسمى علقوا عليها امالهم ، وان كانت واهية على جورج بوش لانتهاج سياسات امريكية في الشرق الاوسط منصفة للعرب وللاسرائيليين ايضا ، ولانهم استاءوا من سياسات كلينتون وال جور .

فلقد كان حاضرا انحياز امريكا لاسرائيل ، والذي بدا واضحا من رد ال جور الذي لم يخفي تعلقه باسرائيل حين سئل ذات يوم ،

ماذا تفعل كرئيس اذا اعلن الفلسطينيون دولتهم من خارج عملية السلام ، فاجاب : ساتشاور مع حكومة اسرائيل لأرى ماهو الرد الذي سيكون اكثر افادة لاسرائيل .ولقد عبر العرب والمسلمون في اكثر من مرة وفي اكثر من مناسبة عن استيائهم الشديد من الاذعان الذي اتسم به موقف الادارة الامريكية حيال سلسلة تطورات يعتبرونها مؤذية ومن اهمها :

■■ ضم اسرائيل للقدس الشرقية .

■■ معاملتها الوحشية للفلسطينيين الذين يعيشون في الاراضي المحتلة .

■■ سياساتها المنحازة التي ادت الى زيادة مطردة في عدد اليهود المقيمين في القدس الشرقية ، وفي المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وفي قطاع غزة .

■■ استمرار الغارات الجوية الامريكية والعقوبات الاقتصادية ضد العراق .

وقد كانت هذه الاسباب كافية لان يصوت المسلمون في الولايات المتحدة الامريكية لصالح جورج بوش ، وليتهم لم يفعلوا ، فقد حنث بوش بكل الوعود التي قطعها على نفسه ، كما انه وصل الى حد لم يصله أي رئيس امريكي في عدائه للعرب والمسلمين ، ووصل في ابتزاز العرب والمسلمين الى اقصى درجة مستفيدا من مناخ مقاومة الارهاب الذي ابتدعه ، لكي يعلن عن حربه الصليبية المقدسة ضد العرب والمسلمين ، وكان هذا المسلك هو اخر ماكان يتوقعه المسلمون ردا على مؤازرتهم له في معركة الرئاسة الامريكية

. وبعد ، لعلي اكون قد انصفت الرجل الذي انصف العرب والمسلمين في كل ماكتب ، والذي كان . في ذات الوقت . يعيب على القيادة الامريكية انحيازها الكامل لعدو العرب والمسلمين الذي اغتصب ارضهم واحتلها ، والذي مايفتأ يبحث عن ذريعة لكي يجليهم عنها ويطردهم منها الى أي مكان في العالم .

وهذا هو الدين الذي يرده لهم جورج بوش ، فهل انتهت القصة .. ابدا ، فما تزال في القصة بقية ، وهي القصة التي سوف ينهيها العرب والمسلمون بعودة الارض الفلسطينية لاصحابها ، والقدس ستبقى عربية ، تنفيذا للوعد الالهي الذي سوف يحافظ عليه العرب والمسلمون ، مهما طال الزمن .

وعلى الرغم من ذلك فما يزال بول فندلي ينادي على من يقدر على تحرير الولايات المتحدة الامريكية (سيدة العالم) من هذا الزوج الاسرائيلي الكريه الذي يستغل علاقة الارتباط اسوأ استغلال ، فما زال في العمر بقية لكي نحتفل بهذا اليوم الذي أرى انه قريب ، واقرب مما نتصور برغم الحال المتردية التي نرى عليها العرب والمسلمون .

فوكوياما : الهم الانساني
بين نهاية التاريخ ومستقبل البشر

خيط رفيع يربط بين كتابات استاذ الاقتصاد السياسي الدولي بجامعة جون هوبكنز ، هذا الخيط الرفيع يظل قويا ، ويشير بوضوح الى مراحل عديدة مرت بها حياته الفكرية ، كواحد من رموز الفكر والثقافة الامريكية ، هذا الخيط الرفيع . في اعتقادي . هو القدرة الهائلة على اثارة الجدل في مجمل الافكار التي يعرضها في كتبه ، ومقالاته التي ينشرها في الصحف الامريكية والتي تترجمها وسائل الاعلام العربية ، وهو في طرحه لافكاره هذه ، والتي يتناول فيها الهم الانساني المشترك ، والتي ربما تخرج عن نطاق تخصصه باعتباره عالما في الاقتصاد الدولي ، الى مناقشة مايمكن وصفه بانه فلسفي حينما اصدر كتابه الشهير " نهاية التاريخ " ، وبانه طبي وعلمي حينما اصدر كتابه " مستقبلنا البشري " والذي يناقش فيه الاثار الاخلاقية للتكنولوجيا المعاصرة ومناقشة قضية الاستنساخ والهندسة الوراثية

للميكروبات وابحاث زراعة الخلايا وتأثير الادوية على الجهاز العصبي وطب مكافحة الشيخوخة ، والذي انصب اهتمامه فيها على مناقشة الاثار الكامنة عن التلاعب في طبيعة البشر والتي تحاول ان ترسي فيها العلوم الحديثة قواعد ونظريات جديدة ، وقد بدا كاتبنا مهموما بالنظام البيئي غير البشري ، والتي عبرت عن نفسها بالنتائج غير المقصودة لمشكلة البيوتكنولوجيا البشرية ، والتي يتصدر الاجهاض واجهتها ، حيث انطلق الى معارضة هذه الثقافة من منطلق اخلاقي ، وبضرورة حماية الطبيعة غير البشرية من الاستثمار التكنولوجي الى جانب مايمكن وصفه بانه اجتماعي حينما اصدر كتابه " الثقة " والذي يحلل فيه الانماط الاجتماعية والمؤسساتية لمختلف المجتمعات الانسانية ، اخذا في الاعتبار الثقة كعامل رئيسي لا يمكن اغفاله ، وهو يستخلص الدروس من عبرة التاريخ فيقول لقد عقدت العزم في مناسبات عدة على ان التحدي في عصر العولمة ليس ببساطة تاسيس سوق عالمية مفتوحة ، انما التحدي الصعب هو انشاء قرية عالمية مفتوحة ، وقد ارسى في كتابه فكرة رئيسة قوامها ان اليابانيين ليسوا جيدين في السوق العالمية ، كما انهم اقل من ذلك في القرية العالمية ، ولذا فان مساهماتهم ضئيلة او سلبية في اغلب الاحيان .

الا انني ، وحتى اكون قادرا على التعبير عن افكار كاتبنا الامريكي فرانسيس فوكوياما ، استميح القاريء عذرا في نقل هذه العبارة عن المخرج الامريكي فرانسيس كوبولا والذي عبر فيها

عن حزنه لان الولايات المتحدة الامريكية لا تملك معرفة كافية بالحضارة العربية ، وقال : لو كنت شخصية تتمتع بنفوذ لكنت فعلت مابوسعي بعد اعتداءات ايلول ٢٠٠١ لوضع برنامج يهدف الى تعريف الامريكيين بشكل افضل بهذه الثقافة الرائعة التي قدمت مساهمات كبرى للعالم في القرن الثالث عشر في الفلك والعلوم والتاريخ ، واختتم بقوله اشعر بتعاطف كبير مع هذه الارض .

ولاشك في ان هذا الذي قاله المخرج الامريكي ، شاركه في كثير من هذه الافكار عدد غير قليل من المفكرين والعلماء الامريكيين ، حيث يبرز على الساحة الثقافية والاعلامية ، هذا العدد من المفكرين والكتاب والاعلاميين ممن تملكوا هذه الرؤية الثاقبة ، والبصيرة الحسنة ، والفكر الراجح ممن راحوا يبشرون بضرورة النظر بعين الاعتبار والفهم للاخر .الا انني ، ولكثرة تشعب افكار كاتبنا ، سوف اركز مقولتي على ماتوصل اليه من اراء في كتابه نهاية التاريخ ، باعتباره . الكاتب . اهم عرابي النظام الديموقراطي الليبرالي الذي يتجلى في النموذج الامريكي ، خصوصا بعد الانتصار الكاسح الذي حققه النظام الراسمالي ، وفلسفته القائمة على اقتصاديات السوق الحر ، وهي الاسس التي قام عليها النظام العالمي الجديد ، الى جانب احادية الاقطاب ، وهو الانتصار الذي عبر عن نفسه ، بانهيار الاتحاد السوفيتي ، وسقوط حائط برلين الشهير في العام ١٩٨٩ م ، ونشأة مرحلة جديدة في حياة البشرية التي ارتبطت بنشأة الفكر العولمي ، او الفكر المعولم ،

والتأريخ بثقافة العولمة الجديدة .

وللحقيقة والانصاف ، فان الكتاب ووجه عندما صدر بسيل عارم من النقد والتفنيد ، سواء من كتابنا العرب ، اوكتاب الغرب ، الذين اختلفوا مع فوكوياما حتى منذ بدايات طرحه لفكرة نهاية التاريخ ، وانتهاء باستنتاجاته التي طرحها ، والتبريرات التي ساقها لاصدار هذا الحكم .

المهم في هذا كله ، ان الرجل يعبر عن قناعاته ، باسلوب محدد ، وافكار ربما تصيب المتلقي لها بنوع من الصدمة ، الا انها صدمة سوف تزول ، بمجرد ان يترك لعقله فرصة ان يعمل في هذه الافكار

اذكر انني تناولت كلام فوكوياما حول مقولته الشهيرة بنهاية التاريخ ، واصدار حكمه الشهير مستخلصا هذه النتيجة من فترة زمنية معلومة للجميع ، وهي الفترة التي عمم حكمها على كل مسار التاريخ الانساني ، ومن ثم اصدر حكمه الذي عممه ووصم به التاريخ البشري .واذكر ايضا كيف انه تراجع عن هذه المقولة ، وحاول تصويبها لكن بعد فوات الاوان ، فلقد سارت بقوة غريبة ، مثل سريان النار في الهشيم .وذهب الاعتذار ادراج الرياح وبقيت المقولة المغلوطة .

ولعلي اكون واحدا من الذين رصدوا العطب الذي احتوته مقولته بنهاية التاريخ ، هي انه اصدر وعده ونبوءته بالنصر الكبير الذي حققه النظام الرأسمالي الغربي ، مبشرا بكونها مصير العالم في قابل الايام ، ولم يكتف بهذا فانه نعت النظام الرأسمالي

(الليبرالي) بانه هو اعظم وافضل الانظمة على الاطلاق ، وان الراسمالية التي هي نظام اقتصادي بحت ، هي اجدى الاوعية الاقتصادية ، وان الاسلام . وماهو دخل الاسلام في هذا الكلام. فالصراع بين نظام راسمالي ونظام اشتراكي دشنته الثورة البلشفية في روسيا الحمراء منذ العام ١٩١٧ م ،. الاسلام ليس بمقدوره مقاومة المد الراسمالي الليبرالي ، اذ ان الاسلام. حسب رايه المغلوط. يتصف بالتقوقع ويفتقر الى المزايا التي تقود الى قبوله عالميا .

لعلي احمل تساؤلي على ظهري ، وانا اواجه فرانسيس فوكوياما ، أي تاريخ هذا الذي انتهى ، وما هو التاريخ الذي نحياه اليوم ، هل هو التاريخ الواحد الذي نعيشه ، والذي ينادى بانتهائه ، وبشر به ، ووعد العالم بتاريخ جديد ، ام عدة تواريخ ، تبدأ وتنتهي دون ان يرصدها احد ، او يشعر بها انسان ، وهذه التساؤلات التي تبحث عن اجابات مقنعة عن هذا التاريخ الذي يتحدث عنه فوكوياما ، هل هو تاريخ الشيوعية التي سقطت بفعل معاول الهدم التي استخدمتها الراسمالية ، للايقاع باشتراكية لينين وستالين وتروتسكي وغيرهم من شلة الشيوعيين الذين حكموا مايقرب من سبعين عاما ، ام هو تاريخ الراسمالية التي كرس مبادئها الاقتصادي الشهير " ادم سميث " حين نادى بتقسيم العمل ، واقرار التخصص الصناعي ، مستفيدا من الثورة الصناعية التي هبت على اوروبا ، وقد افتتحت عصرا جديدا على العالم كله ، ام هو تاريخ الحضارة الاسلامية التي شع نورها على كل ارجاء العالم

، فحسبي ان فرانسيس فوكوياما ، كان واحدا ضمن جوقة من العازفين الذين يعزفون على نغمة هذا الانتصار الكاسح الذي حققته الراسمالية ، مدشنا بذلك عصر العولمة الجديدة التي حملتها رياح النظام العالمي الجديد ، وعلى الرغم من ان العولمة تعني التوحد العالمي في كل شيء من امور الحياة الحاضرة والمستقبلية للعالم ، ولكل سكانه ، في الاعلام والاقتصاد والهوية الثقافية ، والتي لا تعترف بالخصوصيات بقصد دمج العالم كله تحت راية اقتصاد واحد ، وعالم واحد ، وهوية ثقافية واحدة ، وحيث تفقد الدولة سيادتها ، ويفقد المواطنون مواطنيتهم ، ويتحول الناس ، كل الناس في دول العالم الثالث التي لن تستطيع ان تحافظ على ترتيبها التنموي باعتبارهم . عالم ثالث . الى عالم من المرتبة الثلاثين او الثلاثمائة ، وهذا الذي يتناقض تماما مع مفهوم العولمة باعتبارها حركة توحيدية للبشر جميعا ليقيموا في " القرية الكونية الواحدة " من خلال توحيد الاقتصادات المتنافسة الى اقتصاد عالمي واحد ، وتوحيد الادراك والذهن والثقافة اعتمادا على ثورة الاتصالات التي قوامها الان مايفوق ١,٥ مليار جهاز تليفزيون ، و٧٠٠ مليون خط هاتف ، ٢٢٠ مليون حاسوب منها حوالي ٣٥ مليون مشترك في شبكات الانترنت .

لعلي اقول تعليقا على هذا الاستنتاج الذي توصل اليه فوكوياما حول انتصار الراسمالية على الفكر الاشتراكي ، هو ان التسرع بالقول بان " المناظرة " او " الحوار" بين الراسمالية والماركسية ، قد حسمت ، قد جانب الصواب ، صحيح ان الشمولية

كنظام سياسي قد سقطت ، الا ان الخلط بين الشمولية والماركسية باعتبارها ايديولوجية تنطوي على عديد من القيم والافكار الخاصة بالعدالة الاجتماعية ومنع استغلال وحرية الانسان ، والعمل على تنمية كل قدراته الابداعية ، يعد ضربا من ضروب خلط الاوراق ، ذلك ان كثيرا من هذه القيم الايجابية وجدت طريقها الى النظرية الراسمالية نفسها ، والى الفكر الغربي في عمومه ، لانها . ببساطة . تعبر عن قيمة انسانية عامة ، اثبتت الخبرة التاريخية انها جديرة بان تتبع .

كما ان القول بان سقوط الماركسية كفكرة ، قد عني على الجانب الاخر ، سقوط الفكرة الراسمالية ، فان هذا لا يعدو كونه مرحلة من مراحل التاريخ الانساني ، كما ان هذا الزعم . ولو صدق على الافكار والفلسفات الانسانية ، والتجارب البشرية منذ مطلع التاريخ ، الا انه لا ينطوي ولايسري على الاديان السماوية ، والدين الاسلامي على وجه الخصوص ، باعتباره مصدر الهام الحضارة الاسلامية ، ومصدر الثقافة الاسلامية ، وهو في هذا الجانب ، يختلف وبشكل جذري عن الدين اليهودي والنصرانية ، بسبب مايتسم به الدين الاسلامي من شمولية ، وعالمية ، ووسطية ، وتوازن ، وبما يتصف به الدين الاسلامي من ديناميكية وحيوية . تتناسب شريعته مع متغيرات العصور والازمنة ومع احتياجات الانسان في كل زمان ومكان ، وهي قيم وفرت للانسان المناخ . على كافة الاصعدة الانسانية والعقدية والايمانية والنفسية ، لكي يتفاعل مع الكون والحياة ، ومن ثم يصبح انسانا مسلما لا تعنيه

الافكار التي يتداولها البشر وخاصة تلك التي تتصادم مع عقيدته ، وشريعتـه والدين الذي امن به ، الا بقـدر مـا تتـأثر به حيـاته نفسـهـا مـن تاثيـرات هذه الافكار وقـدرتهـا على اختـراق قناعـاته وايمانه ، والتاثير هنا . في اعتقادي . لن يكون ذا نفع .

وهنا لعلي اكـون ممن يشـاركـون بـالقـول بـان هذه المقـولة ارهاصة بالعولمة الجديدة الـتي يروج لهـا الغـرب ، وانهـا صـخـرة في جـدار العولمة والنظام العـالمي الجـديد والتي لم تزل بـرغم الدعم الذي تلقاه ، الا ان اعداءها كثر وينتشرون في جميع انحـاء العـالم ، وعلى وجـه الخـصـوص من داخل المجـتـمـعـات الغـنيـة الـتي من المفترض انها لن تتاثر بالواقع السيء الذي سوف تخلفه العولمة .

واتفق مع كـثيـر من الاراء التي قـالت بان فـرانسـيس فـوكـويـامـا ، بمقـولتـه الشـهـيـرة هذه ، قـد ايقظ المارد من رقـاده ، وترك البـاب مفـتوحـا امـام صـحـوة العـصبيـات والاثنيـات والاصـوليـات ، وحمى الدفاع عن الهـوية الثقـافية والحضارية ، وازدياد موجـات الدفاع عن الخصوصية ، وارتفاع وتيرة مواجهة ما اطلق عليه الهيمنة الغربية في كافة مستوياتها .

واذا كـان فـرانسـيس فـوكـويـامـا الامـريكي الجنسـيـة اليـاباني الاصل ، قد اثار هذا الجدل حول مقـاله " نهاية التاريخ " وقد هنأ المعسكر الغربي . الراسمالي . بالانتصار النهائي لليبرالية والهزيمة الساحقة للماركسية والفكر الشيوعي والتي اعقبها انهيار المعسكر الشيوعي باكمله وانتهاء مرحلة العالم الثنائي الاقطاب ، الا ان هذا الجـدل ،فـتح بـابا واسعـا امـام مـناقـشـة العـلاقـة التـي تربط

الاديان السماوية الثلاثة . اليهودية والمسيحية والاسلام . بالاخر .

في ضوء هذا الجدل ، استطيع القول بان موضوع الاخر في العلاقات الدولية والذي اصبح واحدا من الموضوعات التي دخلت في اجندة السياسة الدولية ومنهج الغرب في مواجهة الشرق المسلم واعتباره العدو القادم . والتي ارى انها سوف تقوي من حدة الصراع الثقافي والسياسي والاقتصادي في مرحلة مابعد النظام العالمي الجديد ، والتي سوف تبلور مفهوم الحضارة الانسانية التي سوف تسود في هذه المرحلة ، والتي سوف يحسم فيها هذا الصراع الذي ينادي به الغرب ، والحوار الذي ينادي به المسلمون باعتبارهم اصحاب حضارة خالدة .

فالازدواجية التي يحياها العالم اليوم ، لم يبتدعها الاسلام ، فهي تقوم على التفرقة بين نحن وهم ، او بعبارة اخرى بين اليهود والاغيار (غير اليهود) وبين المسيحيين وغير المسيحيين ، وبين المسلمين وغير المسلمين ، والتي انتقلت من اطارها الديني الى الاطار السياسي والعلاقات الدولية .

واذا كان المسرح الدولي ، يسيطر عليه ثلاث قوى كبرى ، هي المدنية الغربية الرأسمالية ، والنظم الشيوعية ، والاسلام ، واذا كانت المدنية الغربية الراسمالية قد تخلصت من اطارها الديني الذي يحكم ادراكها للعالم ومن ثم اصبحت علمانية ، بعد انتصار هذه المدنية الغربية على الانظمة الشيوعية القائمة على الالحاد وعدم الاعتراف بالقيم الدينية ، فلم يبق امام المدنية الغربية ، . كمتحدٍ. سوى الدين الاسلامي الذي يقوم على الوحدانية ، ومن

هنا كان الخيار امام المدنية الغربية لاحتواء الاسلام . الذي تنبه لهذه المواجهة مبكرا . في اطار يحتوي اتجاهين ، الاول يتمثل في عنصرية صريحة ومواجهة شاملة ضد الاسلام والمؤمنين به ، والاخر يتمثل في تبني سياسات التسامح الثقافية نظرا وتطبيقا

الا ان الغريب في الامر هو ان المدنية الغربية . وهذا تعبير مجازي. فضلت العمل على ذات المستويين ، الاول كسياسة ومنهج تطبيقي في المواجهة ، والتي تبنت سياسات محاربة الارهاب وقواه الداعمة له . قاصدا حركات التحرر الوطني الاسلامي ، ودعوات الجهاد ضد المحتلين وهي الحركات التي بقيت بعد انتهاء مرحلة الاستعمار ، التي ماتزال بقاياه ماثلة في فلسطين والشيشان وكشمير وبعض اجزاء من العالم الاسلامي التي ماتزال ترزح تحت وطأة الاحتلال والاستعمار ، حتى تحول دون تحررها ، وفي نفس الوقت تعمل على الاتجاه الاخر كنوع من المخدر للشعوب الاسلامية حتى تتحقق اهداف الاحتواء الغربي للعالم العربي والاسلامي .

وهاهو فرانسيس فوكوياما وغيره من نجوم كتائب المفكرين الامريكيين الذي يبشرون بالمدنية الغربية ، والعولمة ، والنظام العالمي الجديد الذي يقوم على انقاض الاخر الذي يواجه المدنية الغربية وحضارتها التي اختارت طريق الصراع الحضاري ، يطلق " بخوره " في معبد النظام العالمي الجديد ، بعد ان انهي فوكوياما التاريخ لمصلحة الغرب .

ترى هل ينجح ؟ اعتقد ان فصولا جديدة في تاريخ العالم

ماتزال تكتب .. حيث ماتزال هناك صفحات جديدة بيضاء لم تسودها اقلام المؤرخين والكتاب والمفكرين والعلماء المنصفين الشرفاء وغيرهم .

تـوماس فـريـدمـان :
كاهن يطلق الدخان في محرقة التاريخ

هذا الكاتب الامـريكي الشـهـيـر ، يعـيش حـالـة من حـالات انفصـام الشـخـصـيـة ، فـهـو حـين يكتـب ، يـتـمـثـل امـامـه بندول السـاعـة ، تارة يتوجه الى اليمين ثم مايفتأ يشرع في العـودة الى اليسار ، وهكذا دونما مـوقف ثابت ، اللهـم عداءه السـافر للعـرب والمسلمين ، والذي ارى انه استجابة طبـيعـية كونه يهوديا وامـريكيا ، عـرف عنه عداؤه لكل ماهو عربي او مسلم .

هذا الكـاتـب ، احـاول جـاهـدا ان اتعـقـب افكاره ، ومـايكتب ، ولكونها كـتـابات كـثـيرة ، ومـتـنوعـة التوجهات ، ومـخـتـلـفـة المصادر الاعلامية التي ينشـر فـيـهـا ، فـانه من الصـعـب على شخص مـثـلـي . وجـهـدي في هذا الاطـار فـردي . ان اتعـقب كل مـايكتب ، الا انـنـي سـوف اكـتـفـي ببعـض هذه الكتـابات التـي اصبـحت عـلامـات بارزة ، ويدلل البعض مثلي على عنصريتها وتعصبها ، وان كان هو لايخفي ذلك .

ولقد لمست هذا بنفسي ، حين دعوت نفسي لحضور الندوة التي دعي اليها للقاء كتاب احدى كبريات الصحف السعودية ، ولفرط ماشعرت بكذبه ، ونفاقه ، وعنصريته ، وعنجهيته في النقاش ، وادارة الحوار مع محاوريه ، ان انصرفت ولم اكمل سماع بقية ماتفوه به من كلام . اعتذر عن وصفه . لانه من فرط ما احتواه من كذب وادعاء وتلفيق للحقائق ، وسعيه نحو القاء . وفي الحقيقة تقيؤ . ما ابتلعه من تلفيقات واكاذيب وادعاءات واستفزاز ، امام محاوريه ، من الصعب تصديقه او التعاطف معه ، ولم يكن لديه النية في ان يستمع الى مايقولون ، او ان يفهم مايرغبون في توصيله اليه ، والرد على الاكاذيب والاستنتاجات التي توصل اليها

فهذا الكاتب الامريكي ، يملك قدرة كبيرة على سرد وبسط مالديه من معلومات ، وهناك من يشكك في انها معلومات استخباراتيه . وهذا بعض مايقوله عنه منتقدوه ، الا انه ليست لديه القدرة على قراءة هذه المعطيات التي يملكها ، او ان يفهم ما تحتويه من معان وقيم ، كما ان لديه قدرة غريبة على اعتساف الاحكام ، وتعميمها دون ان يملك القدرة على الاقناع بها ، او استنطاق مكنوناتها وبالتالي ايصالها للاخر ، في حيادية كاملة ، ناهيك عن تعصبه وعنصريته التي لا يخفيها ، فهو اسرائيلي النزعة ، صهيوني الهوى ، رغم امريكيته التي تؤكدها جنسيته .

كما ان هذا الكاتب الذي يقول عنه البعض بانه محترف في كتاباته ، مثير في عناوينه ، ماهر في اختيار كلماته ، لاذع في

انتقاداته ، مكوكي في حركاته ، مخابراتي في زياراته ، يتسلل الى قارئه من خلال كلماته ومفرداته التي مزجت السياسة بالادب .

وهذا الكاتب الذي يقولون عنه بانه نموذج للتوظيف السياسي الرسمي للصحافة وتقديمها للقراء في صور مخادعة ، فهو يرى مساجدنا معامل تفريخ للارهاب ،وبيوتنا تأوي ارهابيين حتى النخاع ،ديننا دستور للارهاب ، وعقيدتنا مناخ خصب لتنشئة اجيال من الارهابيين ، ومدارسنا مختبرات لغسل ادمغة الاطفال ، سمعته يحرض المرأة على التمرد والعصيان ، ورايته كيف امتعض وظهرت عليه ملامح الغضب حين واجهه الحضور بانتقاد السياسة الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة ، وغضب اكثر حين سموا شارون ارهابيا ، وتفوه امامي بما يعد تجميلا لوجه الصهيونية القبيح ، ويقرع الفكر بالقمع والزندقة الفكرية ،ويكيل بمكيالين ، فتارة يحرم علينا تفكيرنا بالدين ، ويحلله لاتباع بني صهيون في تعصبهم وعنصريتهم ، يفلسف لنا عداء أمريكا للعرب والمسلمين ، وينكر على المسلمين دفاعهم عن مستقبلهم واوطانهم وارضهم وحقوقهم التاريخية ، يبرر لأمريكا تدخلها في شئون العرب والمسلمين الداخلية ، ولا يسعى لفهم كيفية تفكير العرب والمسلمين ، وعقليتهم الشرقية ،يدافع عن تمسك اليهود بحقوقهم التاريخية المزعومة ، وينكر على الفلسطينيين تمسكهم بحقوقهم ودفاعهم عنها .

هذا الكاتب يعيش حالة من حالات انفصام الشخصية ، او الشيزوفرينيا السياسية ، ولايريد ان يشفى منها ، ونحن اذا

ماحاولنا التعرف على افكاره ، فسوف نجد العديد من محطات التصادم معها ، فارض افكاره مليئة بالالغام التاريخية والسياسية والاجتماعية والعنصرية وهلم جرا من النعوت السلبية .

ومنذ البداية يجب علينا ان نعترف بان كتابات السيد توماس فريدمان مثال واضح لما يمكن ان يقال عليه بانه اعلام منافق وتضليلي ، توماس فريدمان بعد ان جاب بلاد العرب والمسلمين ، (في المملكة ومصر وباكستان على سبيل المثال) خرج يقول ان الناس. هنا . لايصدقوننا عندما نقول لهم الحقيقة ، ويكذب فيقول ان الرئيس كلينتون امضى وقته كله وبالذات في اواخر ايام حكمه وقبل ان يغادر البيت الابيض يحاول ايجاد وخلق دولة فلسطينية وان الفلسطينيين هم الذين لم يقبلوا ، وهو يقول ان ايقاف بناء المستوطنات سوف يدمر الدولة العبرية ، كدولة يهودية جمعت شتات اليهود الصهاينة من شتى بقاع الارض ، ويعود فيتهم القادة العرب والمسلمين بانهم يساهمون في تقوية حاجز الافكار وحاجز القطيعة ، وحاجز الكراهية بتشجيعهم نشر الاكاذيب حول الولايات المتحدة الامريكية ، ولا يحاول الاعتراف بان الولايات المتحدة الامريكية ، تمارس انحيازا مطلقا وعداء غير مسبوق في التاريخ المعاصر والقديم تجاه الحكومات العربية والاسلامية ، وشعوبها ومعتقداتهم ، لصالح الدولة الصهيونية .

انه وبكل ما أوتي من قوة يستغل عاموده اليومي في جريدة النيويورك تايمز او في الواشنطون بوست ، في توبيخ العرب والفلسطينيين على وجه الخصوص ، وكأنهم هم السبب في كراهية

الامريكيين والصهاينة للعرب ولانفسهم ، وكانه لايقرأ التاريخ ، او لايحسن قراءته .

فهو لايرى في الفلسطينيين سوى انهم شعب من الارهابيين .ولايسكن في عقولهم وقلوبهم سوى هاجس قتل اليهود ، ولم يفكر هو كيف ان الصهيونيين في ارض فلسطين هم اول من بدأ بالعدوان واغتصاب الارض ، وتشريد اهلها منها في سابقة تاريخية .

ولاينفك يتهم كل من يحاول الدفاع عن الفلسطينيين في حربهم ضد الاحتلال بانه بوق من ابواق الدعاية الفلسطينية ومروجي الارهاب العربي .ويجيب كل من يتكلم عن الانتفاضة بانها حق مشروع لمواجهة الاحتلال بانها مغامرة طائشة لا طائل من ورائها . ولعل اخطر مايقدمه توماس فريدمان لقرائه الامريكيين بعد جولاته في منطقة الشرق العربي والاسلامي ، هو كمية التحريف والتزييف للواقع الذي يراه ، وللحق الذي يسمعه ، لسبب بسيط انه واحد من اكثر كتاب الاعمدة الامريكيين شهرة واقناعا لقرائه ، واطلاعا على كيفية تسيير الامور داخل الادارة الامريكية ، وبالتالي فان الامريكيين مهيأون وباستمرار لتصديقه في أي كلام يقوله ، كما انه من اكثر الكتاب مبيعا لكتبه ، وانتشارا لارائه ، لانه يقدم للامريكيين وحلفاءهم مايرغبون سماعه .

في مقال له بعنوان " انهم يكرهون امريكا .. ويحتاجونها " يستذكر كيف ان كل حوادث العداء لامريكا التي واجهها الرئيس الامريكي جورج بوش خلال جولته الاوروبية في يونيو من العام

الماضي ، تذكر هو الاخر اغنية للمغني الامريكي التي غناها في سبعينات القرن الماضي والتي عنوانها " العلوم السياسية " والتي تقول كلماتها :لا احد مثلنا ، لا ادري لماذا ؟ ، ربما لا نكون مثاليين ، ولكن الله يعلم اننا نحاول ان نكون ، ولكن كل من حولنا ، حتى اصدقاءنا القدامى يحطون من قدرنا ، دعنا نلقي قنبلتنا تلك الاكبر ونرى ماسوف يحدث ، اسيا مزدحمة ، واوروبا هرمة ، وافريقيا حارة جدا ، وكندا شديدة البرودة ، وامريكا الجنوبية سرقت اسمنا .

دعنا نلقي قنبلتنا تلك الاكبر .. فلن يبقى احد على قيد الحياة ليلومنا .."وان كان هناك قيمة لهذه الاغنية التي يرددها فريدمان ، هي انها تذكر بان العداء لامريكا قديم .

وهاهو يحاول ان يفلسف هذا العداء ويبحث في اصوله ، ويؤكد ايضا ان الجميع يكره امريكا ، وفي ذات الوقت يحتاجها ..ويقول ان الانجذاب نحو امريكا بثقافتها وجامعاتها وافلامها واطباقها وازياءها وتقنياتها لا يزال قويا من جميع سكان الارض ، ولايوجد في الوقت الراهن في العالم مايوازن هذا الانجذاب ، ومقابل كل نخبوي في اوروبا يشعر بالامتعاض مما هي عليه امريكا اليوم ، فان هناك عشرة اطفال اوروبيين يحبون ماهي عليه امريكا .

ثم يردد ماقاله المحلل الالماني جوزيف جوف حين قال " امريكا هي الوحش والنموذج ، وهي الاغراء والتهديد " .

انه ينهي مقاله بالتاكيد على ان العالم ، يكره امريكا ، وفي ذات الوقت يحتاجونها ويذهبون اليها ، لان امريكا هي امريكا ،

وهذه هي ضريبة الدور الذي تقوم به في العالم ، وهو يرى من منظوره . الامريكي . ان امريكا لو تخلت عن هذا الدور التدخلي في شئون العالم ، فان ميزان العالم سوف يختل ، وسوف لا يكون هناك معنى للحياة على الارض .

الا ان الذي تغافل عنه السيد فريدمان هو لماذا يكره العالم امريكا ، ولماذا يحتاجونها ، فالناس تكره الظالم ، وتتعاطف مع المظلوم ، والناس تحب العدالة ، وتكره الطغاة ، والناس تحب السلام ولا تحب الارهاب . وهو هنا ارهاب تمارسه الولايات المتحدة وربيبتها اسرائيل ، . والناس تحب الحياة في حرية واستقلال ، وتكره في نفس الوقت من يهدد حياتهم ، وينحاز الى عدوهم ، والناس تحب ان تحيا في استقلال ذاتي ونفسي واجتماعي وسياسي ، وتكره من يتدخل في حياتها وعقيدتها .

وهذا الكلام ينطبق على كل الناس ، في افريقيا واسيا وامريكا واستراليا ، وينطبق اكثر على المسلمين لان دينهم علمهم معاني الحياة في سلام وتسامح واستقرار وحرية وامن وامان ، في ظل قيم اسلامية مايزال السيد توماس فريدمان لايعرفها ، ولايدرك كنهها ، واعتقد جازما انه غير مستعد لان يعرف ، فان حدود علمه هو ان يكون امريكيا يهوديا ، وصهيونيا متعصبا ، وكاتبا مروجا للاكاذيب والضلالات الاعلامية والفكرية ، والمصيبة هنا ان ضحاياه هم اولئك الذين وثقوا به ، واحبوه ، وسلموا بما يقول .

السياسة الدولية بين أطماع الصقور وطموحات الحمائم

يخيل لمن يرصد المشهد السياسي الدولي والذي تلعب فيه السياسة الامريكية من خلال نجوم ادارتها الجمهوريين ، دور اللاعب الاساسي ، ان هناك اختلافا شديدا بين اقطاب الادارة الامريكية على اسلوب ادارة العالم ، او ان ثمة صراع خفي يحكم ويتحكم في اصول اللعبة السياسية التي يلعبها اهم لاعبي السياسة الدولية .

وبصرف النظر عن ماهية هذه السياسة التي تمارسها امريكا نحو العالم ، فان اللافت للنظر هو ان الخلفية الثقافية التي يصدر عنها مانراه اليوم على مسرح السياسة الدولية ، يؤكد مما لاشك فيه ، انها تصدر عن جهل تام بالاسلام والثقافة الاسلامية ، وان مواقف العداء التي وجهت الى الاسلام والمسلمين في العالم ، انما هي بفعل الاعلام الصهيوني الموجه ، واراء بعض مثقفي وكتاب وادباء امريكا المنحازين الى الفكر الصهيوني ، والمبني اساسا على

فكرة العداء للاسلام ، وهي قائمة طويلة يتصدرها توماس فريدمان ، وفوكوياما ، وهانتنجتون ، ولويس برنارد وغيرهم كثير ، وهم ذلك القطيع الذي يتأثر به اقطاب السياسة الامريكية ، والذين يشار اليهم بوصف الاربعة الكبار وهم ديك تشيني نائب الرئيس الامريكي ، ودونالد رامسفيلد ، وجونزاليسا رايس ، واخيرا وزير الخارجية الامريكي كولين باول ، وهي المجموعة التي تتولى طبخ توجهات السياسة الامريكية تجاه العالم ، وبلورة الياتها نحو قيادته .

فماذا يقول هؤلاء الكتاب ؟

امامي كثير من تعليقات وكلمات الكتاب والمثقفين الامريكيين ، الا انني سوف اتخير البعض منها للتدليل على ما اقول : يقول ايموس بيرلموتر " ان الطبيعة الحقيقية للاسلام الاصولي ، ليست فقط مقاومة الديموقراطية لكنها كلية الاحتقار والعدائية للثقافة السياسية الديموقراطية برمتها ، ان الاسلام الاصولي حركة ثوروية عدوانية مماثلة في احرابيتها وعنفها للحركات البلشفية والفاشية والنازية التي ولت ، وانه يتحتم على الولايات المتحدة الامريكية ان تحذر من هذه الحركة ويجب ان " تخنق في المهد " ويستكمل هانتنجتون هذا التوجه بالقول " ان اهم النزاعات التي سوف تجرى على الحدود الثقافية التي تفصل الغرب عن حضارات غير غربية على الجانبين كليهما ، يرى ان التفاعل بين الاسلام والغرب صداما بين حضارات متكهنا بان الحرب العالمية القادمة سوف تكون بين الحضارات ، وهو بهذا

القول يجيب على تساؤلات برنارد لويس الذي قال قبلا : ان الصراع الحالي لا يقل عن كونه صدام حضارات هو رد فعل لعمل لا عقلاني لكنه قطعا تاريخي من مزاحم عهد تراثنا " اليهوسيحي " وحاضرنا العلماني وتوسعهما كليهما عالميا ."

بل ان معظم الكتاب الامريكيين قد خلصوا الى القول بان الاسلام حل محل الشيوعية كالخطر الاستراتيجي الاقوى لفترة مابعد الحرب العالمية الباردة ، ذلك ان الخطر الجديد مساو في شره لامبراطورية الشر القديمة .

بل ان احد الكتاب الذي يدعى جوناثان باريس في معرض حديثه عن الاسلاميين " قال ان الاصوليين يتحدون الغرب بصورة اعمق مما فعله ويفعله الشيوعيون . فهؤلاء الاخرون يختلفون مع سياساتنا وليس مع نظريتنا المجملة الى العالم ، بما فيها طريقة لبسنا وتزاوجنا وصلاتنا ، بل انه لايقيم تمييزا في كتاباتهم بين الاسلام كدين وبين الاسلام السياسي كايديولوجية ، فيقول : الامريكيون يعرفون خصمهم عندما يرونه ، والاسلام خطر على الغرب ، مثلما الشيوعية ابان الحرب الباردة ، ويستمد الكاتب دانيال بايبس ، المدد من نظرائه الكتاب المحرضين والمتصدين للوجود الاسلامي في الولايات المتحدة الامريكية ، فيقول يجب علينا ان نحارب الاسلامويين الراديكاليين وان يهزموا .

بل ان احدهم وهو روبرت ساتلوف مدير معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى قال ان على الولايات المتحدة الامريكية

اتخاذ الاجراءات الفعالة للانضمام الى المعركة التي تشنها بعض حكومات الشرق الاوسط على الارهاب حتى ولو ادى ذلك الى ان نجد انفسنا مطاوعين لبعض الاعمال القذرة التي يقوم بها المقززون فعلا ، ويضيف بقوله : ان المعركة رغما عن كل شيء اخر ، هي معركتنا نحن .

"هنا يكمن الغطاء الفكري والثقافي الذي يصدر عنه الساسة الامريكيون " الذي هم في الحقيقة يجهلون . مثلهم في ذلك مثل الشعب الامريكي كله . كل شيء عن الاسلام كما انهم لا يعرفون شيئا عن المسلمين ، وحضارتهم وعطائهم التاريخي والحضاري والانساني على مدى التاريخ .

هذا الاستنتاج كان موضوعا رئيسا لكتاب وحيد اصدره رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد ، والذي عرضه في محاضرة بمركز اوكسفورد حول الاسلام الذي اسيء فهمه ، والذي خلص فيه الى ان الاسلام تعرض الى سوء فهم كبير من جانب الغرب ، فيقول ان سوء الفهم للاسلام والمسلمين وسط غير المسلمين قد وصل الى مرحلة في غاية السوء ، فقد بدأ الصراع بين المسلمين والنصارى مبكرا والبداية من الامبراطورية البيزنطية ، واوروبا المسيحية التي عملت بضراوة على تاجيج مشاعر الكراهية ضد الاسلام ايام الحروب الصليبية ، حيث ظل هذا العداء مستمرا على مدى قرون طويلة من الزمن ، فالغرب لا يعترف للاسلام باي فضل ، او أي شيء مفيد او سلوك حميد فيما يتعلق بعلاقاتهم بغير المسلمين ، كما اهملت اوروبا عن عمد الاشارة الى تلك الحريات التي عاشها

المسيحيون واليهود على السواء في كنف الدولة الاسلامية في اسبانيا والاندلس ، بل وفي الشرق العربي المسلم ، حيث كانوا يتمتعتون بحرية فريدة في ممارسة شعائرهم الدينية ، بسهولة ويسر ، بل يزيد الامر بلة ، ان الغرب المسيحي ، ظل وعلى مدى سنين طويلة يروج لمقولة ان العرب والمسلمين هم سر شقاء العالم ، وانهم مصدر كل نقيصة وارهاب .

في الولايات المتحدة الامريكية ، يتحدثون عن التباين الواضح بين جورج بوش الاب وجورج بوش الابن ، وكيف انهما نقيضان لا يلتقيان ، حتى في اختياراتهما ولو انهما استعانا ببعض رموز السياسة الامريكية المستقبلية ، فعلى سبيل المثال فان ديك تشيني ورامسفيلد وكولين باول كانوا من اعمدة معاوني جورج بوش الاب ، وهم ايضا اعمدة الحكم في عهد جورج بوش الابن ، الا ان المتغيرات السياسية والعسكرية التي حدثت بالعالم ، تطلبت تغييرا كبيرا في السياسات والتوجهات .

ياتي على راس هذه المجموعة ديك تشيني الذي يشغل منصب نائب الرئيس ، والذي عرف عنه الاعتدال السياسي ، الا انه عندما طلب منه اعداد تقرير عن مهمات امريكا السياسية والعسكرية في عالم مابعد الحرب الباردة ، والتي اطلق عليها توجيه التخطيط العسكري ، اكدت هذه المسودة ، على ضرورة ضمان عدم بروز أي قوة عظمى في أي مكان من العالم ، واقترحت اقناع كل الدول الصناعية المتقدمة بان الولايات المتحدة ستحمي مصالحها المشروعة من خلال ادامة مايكفي من القوة العسكرية ، وان على

الولايات المتحدة ادامة الاليات اللازمة لردع المنافسين المحتملين حتى عن مجرد التطلع الى القيام بدور اقليمي او دولي اوسع ، حيث دعت المسودة في نهاية التقرير ، الى ضرورة استعمال القوة لمنع انتشار اسلحة الدمار الشامل في دول مثل كوريا والعراق وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، وهي التي دعت الى تكوين التحالفات بعيدا عن الامم المتحدة .

اما دونالد رامسفيلد فقد شارك وولفوويتز في اعطاء الوظائف المدنية في الادارة الامريكية للمتشددين او ما يعرف بالصقور ، الذين كانوا يدعمون توجهات اسرائيل . مثلا . التخلص الحاسم من اتفاقات اوسلو ، واعادة احتلال الاراضي التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية ، وكتب بعدها دوغلاس فيث وهو احد الصقور في البنتاجون الامريكي ، يقول : الثمن المدفوع بالدماء سيكون مرتفعا " الا ان انتزاع السم . هو الطريق الوحيد للخروج من شباك اوسلو " بل ان احدهم زاد على هذه المواقف فقال " ليس هناك شيء اسمه الامم المتحدة واضاف " هناك مجتمع دولي يمكن قيادته من قبل القوة الحقيقية الوحيدة المتبقية في العالم وهي الولايات المتحدة الامريكية عندما يكون ذلك لمصلحتنا ونستطيع تحريك الاخرين ".

وتنضم جونزاليسا رايس . مستشارة الرئيس الامريكي . الى الجوقة المتشددة ضد كل ماهو عربي واسلامي . وعلى الرغم من حرصهم الشديد على عدم تسمية العدو الذي يحاربونه صراحة . برغم الزلل اللساني الذي افصح عنه الرئيس بوش نفسه بتسمية

الحرب التي يقودها بانها حرب صليبية ، ونفيه المتكرر بانه لايقصد الاسلام والمسلمين ، الا ان مانواه من خطط واستعدادات تستعدي العرب والمسلمين يفصح من دون شك في ان العدو القادم للنظام العالمي (الامريكي) الجديد هو الاسلام .

الا انني استطيع القول بان النظام الأمريكي الجديد ، يستهدف في اساس تكوينه تفكيك العالم الاسلامي ، وان ماجمعه الاسلام هم كفيلون بتفريقه وتقطيعه ، وهم يسلكون في سبيل تحقيق ذلك اكثر من وسيلة واكثر من سياسة ، والارهاب ومكافحته واحدة من هذه السياسات التي تبنتها الادارة الامريكية ، اضافة الى نزع أي قوة يملكها العرب والمسلمين ، والا من يفسر لنا حرص الولايات المتحدة الامريكية على نزع السلاح النووي العراقي على الرغم من النفي المتكرر للعراق تملكها أي سلاح نووي ، وبالقوة وباستخدام الامم المتحدة او قيادة أي تحالف دولي ، او حتى العمل العسكري المنفرد ، في حين انها تغض الطرف عن التسلح النووي الاسرائيلي ، بل انها تدعمه وتزيده ، وتتعامل بالسياسة والدبلوماسية واللامبالاة احيانا في مواجهة اعتراف كوريا الشمالية بامتلاكها السلاح النووي . واعتقد ان هذا مثال صارخ على ازدواجية المعايير في السياسة الدولية ، التي تقودها الولايات المتحدة ، وترسم معالمها .

وعلى الرغم من تبني كولين باول سياسات الحوار والتهدئة وعدم اللجوء الى استخدام القوة ، الا انه يصبح ترسا صغيرا في الة السياسة الامريكية التي تتجه نحو التصعيد المستمر

للمواجهات العسكرية والسياسية مع العرب والمسلمين ، وعدم التهاون في مواجهة مايسمونه بالارهاب العربي والاسلامي ، وانهم قد حددوا وبشكل مباشر عدوهم المستقبلي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، بعد ان اخترعوا وهما اسمه الخوف من الاسلام .

ان مقولة الرئيس الامريكي " جورج بوش " عندما دشن حربه المقدسة ضد الارهاب ، من ليس معنا فهو ضدنا ، والذي بسط فيه حرب العالم ضد الارهاب ، فقد عبرت هذه المقولة عن الازمة الحقيقية التي تعيشها السياسة الامريكية والدبلوماسية الامريكية والعسكرية الامريكية ، لقد اشارت ببساطة الى ازمة ثقة تعيشها الامبراطورية الامريكية ، وان سيدة العالم تعيش ازمة حقيقية ، او ورطة تاريخية سوف تندم عليها مستقبلا .

هذه المقولة التي اطلقها بوش ، لم تكن لتنشأ من فراغ ، مثلها في ذلك مثل غيرها مما تم رصده من اقوال بوش واقطاب ادارته ، بل هي تعبير عن مايدور داخل النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية ، وعبرت بشكل دقيق عن كراهية امريكا للعالم . هذه الكراهية تتعزز يوما بعد يوم ، وبدلا من ان تعيد الولايات المتحدة الامريكية تقييم سياستها الخارجية والاستماع الى نداءات الاصدقاء ، راحت تعمق الكراهية تجاهها من اعدائها واصدقائها على السواء ، ولنا ان نعرف ان الرئيس الامريكي بوش وقبل ان يطل على كاميرات التصوير التليفزيونية وكاميرات الصحفيين ، يكون لتوه خارجا من اجتماع يضم كولين باول ، ودونالد رامسفيلد ، وجونزاليسا رايس ، وهو الفريق المعروف باسم فريق السياسة

الامريكية ، بكامله فيما عدا ديك تشيني المتحكم في المشهد من خلف الستار الذين يقدمون له النصح ويخططون لما يقول.

وهذا الذي توصلنا اليه يعني وبعبارة بسيطة هي ان فريق السياسة الامريكية والذي يضم الحمائم والصقور، ليس سوى مجلس الحرب الامريكي الذي انيط به هندسة حرب الولايات المتحدة الامريكية ضد العالم ، تحت أي مسوغ ، واي شعار ، ودون هدف محدد سوى فرض الهيمنة الامريكية على العالم . واستعادة عصر الامبراطوريات الكبرى الذي ولى ، فيما يشبه ولع امريكي كبير بزمن الامبراطوريات التي مرت مسيراتها عبر التاريخ الانساني على سطح الارض ، ولكن هل تنجح الولايات المتحدة الامريكية في ان تصبح امبراطورية قادمة بعد ان تهيء المسرح العالمي لاستقبال الامبراطور الامريكي جورج بوش . علينا ان ننتظر ، فما زلت ارى مسرح السياسة الدولية وهو يستعد لاستقبال مشهد جديد في عمل مسرحي مشوق ومثير تلعب فيه امريكا دور الكاتب والممثل والمغني والمخرج والمنتج .. وحتى دور المتفرج الذي تحاول ان تسلبه من الجمهور العالمي بشتى الطرق .

بريزينسكي :
احتواء العالم في تركيبته الجديدة

كاتبنا في هذا العرض هو راس مثلث ، رسمه الكاتب الامريكي "جيف ستاينبرج المتخصص في السياسة ، حيث قال ان المثلث ومعهم جيش من المحافظين الجدد يفرشون الطريق امام هذا الصراع. الصراع الحضاري . لاكثر من عقد مضى ، هذا المثلث يضم بريزينسكي وصامويل هانتنجتون وثالثهم هو برنارد لويس ، والذي يؤكد هذه المقولة هو ما اثبته في اطروحته المثيرة للجدل ، والتي استعرض فيها صمويل هانتنجتون ، استاذ علم الحكم في جامعات امريكية ، مقولته بوجود صراع حضارات ، وذلك في المقال الذي نشره في دورية فورين افيرز والذي عنون " هل هو صدام بين الحضارات ". والذي عدد فيه مظاهر واسباب هذا الصدام الحتمي الذي سوف يحدث بين الحضارات العالمية التي

تعبر عن الثقافات العالمية التي تتنافس والتي يكاد تنافسها يصل الى حد الصراع ، والذي ابرز فيه ايضا كيف ان الحضارة الاسلامية هي التي يجب ان تستهدف ، في ظل النظام العالمي الجديد .

بعدها خرج علينا هانتنجتون بالعديد من الطروحات والمقالات التي تفسر موقفه من هذا الصدام الحتمي بين الحضارات ، ولو انه راح وعدل عن بعض هذه الاراء التي راح يفندها الكثير من الكتاب والمفكرين من عرب وغير عرب ، الا انه في واحد من مقالاته العديدة وبالتحديد مقاله المعنون " ان لم تكن الحضارات فماذا تكون ؟

نماذج من عالم مابعد الحرب الباردة ". طرح سؤالا محددا بلفظه يقول فيه " هل تتفكك امريكا ؟ " هذا الذي طرحه هانتنجتون ، كان ردا على الكتاب الذي الفه زيجنيو بريزينسكي مستشار الرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتر ، والذي كان عنوان " أفول شمس الغرب " او بمعنى اخر ، " سقوط الحضارة الغربية " ، وكان هذا الكتاب الوقود الذي استخدمه هانتنجتون ليصدر مقالته المثيرة للجدل .

فماذا قال بريزينسكي في هذا الكتاب الذي حمل تحذيرا لامريكا . والذي صدر في العام ١٩٩٣ . ان استمرت الولايات المتحدة الامريكية في سياساتها التي سوف تجر عليها الخراب والدمار ، فيقول ان العالم مثل طائرة بدون طيار ، ويسيرها ملاح آلي وسرعتها في ازدياد مستمر وليس لها وجهة معينة مع فقدان الاسس الاخلاقية والفلسفية تجعل الملاح الوحيد الموجود حاليا .

وهو يعني الولايات المتحدة الامريكية. غير صالح تدريجيا . لقيادة هذه الطائرة .

ويضيف بقوله : ليس لامريكا ند ولا منافس في العالم كله الا ان التحدي الذي يواجهها من داخلها وليس من الخارج ، فالثقافة الامريكية السائدة تؤدي الى يأس المواطنين ، في الولايات المتحدة اضافة الى انها تفسد العالم الخارجي ، ورغم ان لامريكا امكانياتها المادية وبعض الامكانيات السياسية اللازمة لقيادة العالم ، الا ان زعامتها تتاكل ، والسبب يعود الى فراغ رسالتها من المضمون الاخلاقي .

كاتبنا الذي شغل ولفترة طويلة منصب مستشار الامن القومي للرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتر ، يظل يرهص ، وكانها مهمة مقدسة ، بالهيمنة الامريكية ، ولكي يمرر مايريد ان يقول فانه مايفتأ يردد من حين لاخر أن الهيمنة قديمة قدم الجنس البشري ، وكأن الهيمنة هي قدر الجنس البشري منذ بدء الخليقة حتى العصر الامريكي الذي نحياه الان ،

في كتابه الهام جدا " رقعة الشطرنج الكبرى " ، يكرس لهذه الهيمنة فيقول : ان سيادة امريكا على العالم في الوقت الراهن ، هي من النوع المتميز في سرعة ظهوره ، وفي مداها العالمي والطريقة التي تمارسها بها ، والسبب هو ان امريكا حولت نفسها بفعل الديناميكيات الدولية ، من دولة معزولة نسبيا في النصف الغربي من العالم الى قوة لا سابقة لحولها وطولها العالميين .ويحرص على مدى صفحات الكتاب الاولى على شرح الطريق

القصير الذي سلكته الهيمنة الامريكية الى السيادة العالمية ، وهي في اسلوبها واستراتيجيتها تحاكي الامبراطوريات العالمية التي بادت بعد ان سادت ، على الرغم من الاختلاف البين بين الامبراطوريات التي عرفها العالم ، والولايات المتحدة الامريكية ، وكان هذا الوضع هو قدر امريكا الواضح .

على ان مايريد ان يقوله بريزينسكي هو ان امريكا استطاعت ان تصل الى هذه المكانة بين دول العالم بسبب تفوقها الاقتصادي الذي وظفته بشكل ممتاز جدا في طرح طموحات امريكا في الهيمنة ، ولنا ان ندرك ان قدرة امريكا الاقتصادية النامية شكلت ثلث اجمالي الناتج القومي العالمي عند اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وقد شكلت سياسة امريكا الاقتصادية المتميزة انذاك والمتشكلة من المؤسسات الامريكية واقتصاد السوق الحرة الاساس الذي مهد الطريق امام التفوق الامريكي والذي عبر عنه من خلال التفوق العسكري الذي قام بفضل الانفاق العسكري الهائل .

الا ان الامر الذي لاشك فيه ، فقد عبرت المشاركات الامريكية في خلق ازمات العالم السياسية والعسكرية فرصة هائلة لكي تعبر العسكرية الامريكية ، والاقتصاد الامريكي الذي ساندها ، عن نفسها ، في فرض الهيمنة الامريكية في ابشع معانيها .ولقد كان من توابع هذا الوضع الجديد أن سعت الادارات الامريكية المتعاقبة الى الاستفادة القصوى من هذه المقومات الجديدة على الرغم من العزلة التي فرضت على القيادة الامريكية ، والتي مالبث ان انقشع غبارها ليفصح عن وجه امريكا القبيح الذي انكشف بتدخلاته

السافرة في الشئون الداخلية لدول العالم ، وعلى وجه الخصوص في الشرق الاوسط ، حين شكلت الغطاء السياسي والعسكري ، والدعم الاقتصادي والسياسي للكيان الصهيوني المزروع في ارض فلسطين ، متحدية الارادة الدولية ، سعيا نحو كسر الارادة العربية ، وهزيمة المشروع العربي .

باختصار ، وعلى الرغم مما تستحضره السيادة الدولية الامريكية من اوجه التشابه مع الانظمة الامبراطورية السابقة ، فان اوجه الاختلاف عنها اكثر اهمية . من وجهة نظر الكاتب . ويتجاوز الاختلاف مسالة حجم رقعة النفوذ ، حيث ان النفوذ العالمي الامريكي يمارس من خلال نظام عالمي مصمم امريكيا ليعكس التجربة المحلية الامريكية التي شكلتها الجاليات العرقية الامريكية . على اعتبار ان الولايات المتحدة عبارة عن مجموعة من الجاليات العرقية التي هاجرت بعد اكتشاف امريكا الجديدة .

نقطة اخرى مهمة يعرضها الكاتب حين يقول : لعل امريكا هي الدولة الوحيدة التي يؤثر حجم " اللوبيات " العرقية وجهة بوصلتها السياسية ، والدليل على ذلك مانراه من تحكم الجاليات اليهودية في السياسة الامريكية الخارجية ، والداخلية ايضا ، وتستطيع أي دولة في العالم مهما كان حجمها من التاثير في التوجهات الامريكية من خلال جاليتها العرقية في امريكا وهذه الجاليات التي تكاثرت بشكل كبير وهائل لدرجة ان عددها وصل الى اكثر من الف جماعة اجنبية تمثل المصالح الخاصة وهي

تناضل من اجل التاثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ، والتي تتصدرها الجالية اليهودية ، والجالية اليونانية ، وكذلك الجالية الارمنية بصفتها الجاليات الاكثر تنظيما والابعد تأثيرا .

هذه السيادة الامريكية انتجت نظاما جديدا ، اطلقت عليه الولايات المتحدة الامريكية في ظل ظروف سياسية خاصة مرت بالعالم ، النظام العالمي الجديد ، والذي اطلقته الولايات المتحدة الامريكية من القمقم الامريكي والذي اعتمد على الاتي :

●● نظام أمن جماعي بما في ذلك القيادة والقوات المؤتلفة المشكلة من حلف الناتو ، ومعاهدة الامن الامريكية اليابانية ، ومعاهدات الامن المشترك مع الاتحاد السوفيتي ، وبعض دول اوروبا وغيرها ، ومانراه الان من محاولات الولايات المتحدة الامريكية ، توسيع حلف الناتو شرقا باقتراح ادخال سبع دول شيوعية سابقا الى عباءة الحلف والمنظومة الاوروبية .

●● التعاون الاقتصادي الاقليمي مثال منتديات التعاون الاقتصادي الامريكي . والباسيفيكي ، واتفاقية نافتا ، والمؤسسات التعاونية العالمية المتخصصة كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ، ومابعد اتفاقية الجات .

●● الاجراءات الجماعية المختلفة التي اتخذتها امريكا لترسيخ جماعية القرار حتى وان كانت خاضعة لسيطرة الولايات المتحدة .

●● ترجيح الانتساب الديموقراطي ضمن تحالفات رئيسية .

●● بنية ابتدائية تشريعية وقضائية عالمية تتراوح بين المحكمة

العالمية وبين محكمة خاصة للنظر في جرائم الحرب البوسنية .. وغيرها .وهذا كله ما حدا بالمتخصص الامريكي في العلوم السياسية جي . جون اكينبيري ان يلخص هذه الحالة بقوله : كان . هذا . نظاما للهيمنة ، بمعنى انه قد تركز حول الولايات المتحدة الامريكية "

الا ان عنصر المفاجاة هنا هو في ايمان الادارة الامريكية . على اختلاف فتراتها الزمنية . بان السيطرة على العالم تبدأ من " اوراسيا " (مصطلح يقصد به الطبيعة السياسية والجغرافية لاوروبا واسيا) على اعتبار ان هذه المنطقة هي قلب العالم ، وان من يتمكن من السيطرة عليها ، يتحقق له السيطرة على العالم ، وبالتالي يصبح سيد العالم ، وهذا بالضبط مانادى به الكتاب الامريكيون على اختلاف انماط تفكيرهم وعقائدهم السياسية .

وهنا اقرا لصاحب مقولة " صراع الحضارات " كلمة عبر بها عن موضوعها الاني ، معبرا عن الارهاصة بالسيطرة الامريكية ، فيقول : ان عالما بدون سيادة الولايات المتحدة الامريكية سيكون عالما اكثر عنفا وفوضى واقل ديموقراطية وادنى في النمو الاقتصادي من العالم الذي يستمر تاثير الولايات المتحدة فيه اقوى من تاثير اية دولة اخرى على صياغة الشئون العالمية " .

وهنا لن ارد على ادعاءات هانتنجتون الا بدعوته ليرى العالم الان ، هل هو العالم الاقل عنفا والاقل فوضى ، لنرى كيف انه لم يستطع ان يقرأ العالم جيدا ، ولم تتوفر له قراءة التاريخ الذي يدعي بانه استاذ قراءة التاريخ والمستقبل .

بريزينسكي بعد رحلته الطويلة في هذا الكتاب ، يريد ان يقول باختصار شديد هو ان رقعة الشطرنج التي سوف يدور حولها الصراع ، هي اوراسيا ، فهي المنطقة الاكثر سخونة والتي سوف تشهد ملخصا لصراع القوى ، ولعلي اصدقه ، حيث كشفت الولايات المتحدة عن وجهها الحقيقي بافتعال الازمات السياسية والعسكرية في قلب اسيا ، بعد ان دان لها الوضع في اوروبا باتفاقيات الامن المشترك ، وحلف الناتو والمنتديات وغير ذلك من صيغ فرض الهيمنة السياسية والثقافية والتي توافقت معها اوروبا ، وظلت اسيا وافريقيا تؤدي خلالها ادوار المنشقين ، او الخارجين عن النص ، او الخارجين على القانون الامريكي في الهيمنة والسيطرة .

ولنا هنا ان ننظر الى فلسطين ، وافغانستان ، وكوريا والعراق والكويت ، واليمن ، وتايوان واندونيسيا ، ولاشك ان الوضع فيها جميعا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك في ان الهيمنة الامريكية تواجه تحديا كبيرا وهائلا ، وان قدرة الولايات المتحدة الامريكية على اسكات هذه المناطق الساخنة وتبريدها مهمة مستعصية ان لم تكن مستحيلة ، والدليل على ذلك ان النار التي اشعلتها الولايات المتحدة الامريكية لتبرر لرجل المطافيء الامريكي تدخله ، قد انقلبت تماما على الساحر الامريكي. في اماكن كثيرة من العالم المعاصر . الذي مايزال يطلق صيحات الحرب ، ليفرض ثقافته وحضارته ومنطقه وسياساته ، بدعوى الحفاظ على النظام العالمي الجديد الذي يتهدده العديد من المخاطر ، وسيادة المنطق

العولمي الجديد الذي ثبت فشله على الرغم من سنوات عمره القليلة جدا .

يعود كاتبنا ليلخص افكاره في خاتمة الكتاب ، ليقول ان سيادة امريكا العالمية فريدة في مداها وطبيعتها ، انها هيمنة من نوع جديد تعكس الكثير من ملامح النظام الديموقراطي لامريكا في كونها تعددية ومرنة وقابلة للنفاذ من خلالها .

الا انني سوف اجيب كاتبنا بعبارة واحدة ، هي ان هذه الديموقراطية التي يفخر بها ، ديموقراطية مفتوحة العينين بمعنى انها فاقدة للشفافية ، وفاقدة للحيادية ، وهي ديموقراطية منحازة وغير عادلة ، وغير منصفة ، واقول لمن يجادلون انظروا الى المعايير الامريكية عندما تنظر الى قضية الشرق الاوسط ، وقضية السلاح النووي ، وقضية الارهاب ، وقضية الاقتصاد العالمي الجديد ، وقضايا حقوق الانسان .

ولعلي اضيف هنا ، ان السجل الامريكي ، لا يؤهل الولايات المتحدة الامريكية كي تقود العالم ، او تهيمن او تسيطر ، بل ان المعطيات التي يشي بها ، لا تعطيه الحق في احتلال مكانة الامبراطوريات العالمية السابقة ، لسبب بسيط هو ان هذه الامبراطوريات التي قامت في السابق ، كانت امبراطوريات " قيمية " بمعنى انها قامت على قيم اخلاقية وانسانية وغير ذلك من القيم ، اما الامبراطورية الامريكية . الارهاصة . تريد ان تقوم على قيم ميكافيلية استعمارية عنصرية ، تجاوزتها ثقافات العالم ، وقيمه وثوابته التاريخية والحضارية .

واختم بـالقـول وعلى من يـخـالفني رايي ، عليـه ان يعـيـد قـراءة الفصل مرة اخرى .

هانتنجتون : العراب حين يخطيء فهم حركة التاريخ وتكامل الحضارات

لعل نقطة البداية التي يجب على من يتصدى لمقولات هانتنجتون ، هي ان تبدأ من حيث بدأ ، ومن هنا علينا ان نعترف بان كاتبنا هذه المرة ، قد شيد شهرته التي جاوزت افاق العالم ، اثر نشر مقالته الشهيرة التي برر فيها مقولته بان العالم مقبل على مرحلة تاريخية جديدة ، دستورها هو الصراع والصدام بين الحضارات ، وان زمن حوار الحضارات ليس له مكان في عالم تشابكت فيه المصالح ، وتنوعت فيه ادوات الحضارات في تنافسها الذي تحول الى صدام حتمي ، قبلها لم يكن يعلم احد عن صامويل هانتنجتون سوى انه استاذ نظم الحكومات ومدير معهد ام اولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الامريكية .

هذا المقال الذي وضع فيه خلاصة ما اراد ان يقول حول صراع الحضارات ، والذي طرح في قسمه الاول فكرة ان صدام الحضارات هو النموذج القادم للصراع ، على اعتبار ان حركة التاريخ قائمة

اساسا على الصراع ، وحتميته التاريخية ، حيث افترض في مقولته هذه على ان المصدر الاساسي لهذا الصراع لن يكون ايديولوجيا او اقتصاديا في الاساس وذلك بسبب ان التباينات بين الجنس البشري والمصدر المحوري للصراع سوف تكون ثقافية ، وستظل الدول القومية اكثر الوحدات الفاعلة قوة في الشئون الدولية ، غير ان الصراعات الاساسية في السياسة الدولية ستقع بين دول وجماعات صاحبة حضارات مختلفة ، وسوف يهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية ، وسوف تكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل .

ولعل اخطر مافي هذا الطرح ، هو استباقه لكل التحولات الانسانية ، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية لجميع سكان الارض على اختلاف هوياتهم ، وقوله : بان الصراع بين الحضارات سوف يشكل اخر مراحل تطور الصراع في العالم المعاصر ."

ويخلص عراب النظام العالمي الجديد ، وداعية الهيمنة الامريكية على العالم ، وفيلسوف العولمة الجديد ، الى ان صراع الحضارات الذي يروج له ، والذي يقوم في مجمله . وفي ملخصه . بعد عدد من الطروحات والتبريرات التي خلص منها الى تركيز هذا الطرح ، يقوم على طول حدة الهوة الفاصلة بين الحضارتين الغربية والاسلامية ، من ١٣٠٠ عام ، وبعد ظهور الاسلام حيث توقف المد العربي والاسلامي غربا وشمالا عند العام ٧٣٢ م ، ولفت الى ان الحرب العالمية الثانية كانت هي نقطة التحول ، حيث

اعلنت القومية العربية عن نفسها ثم تلتها الاصولية الاسلامية ، ومن ثم اصبح الغرب يعتمد اكثر على بترول العرب . . وعندما رغبت هذه الدول في امتلاك السلاح لتصبح غنية به بعد ان اغناها النفط ، وقعت العديد من الصراعات بين العرب واسرائيل ، ومن ثم زادت حاجة العرب والمسلمين الى التعبير عن ذواتهم وحضارتهم ، وادخل الغرب العرب في نفق مظلم من الصراعات المحلية والاقليمية كما ساهمت الديموقراطية الغربية في تعزيز وتقوية القوى السياسية المناهضة للغرب. وهي التي اطلق عليها لفظ الاصولية الاسلامية والجماعات الاسلامية والسلفية وجماعات الرفض وغيرها . بل انه حمل هذا الفرض الاسباب التي عقدت العلاقة بين العرب والمسلمين في مواجهة الغرب .

ويضيف هانتنجتون بقوله : وكلا الجانبين ينظر الى التفاعل بين الاسلام والغرب على انه اكثر من صراع بين الحضارات ، مؤكدا مقولة الكاتب الهندي المسلم بان المواجهة القادمة للغرب تتجه بلا ريب لكي تاتي من العالم الاسلامي ، فمن حركة المد الاسلامي من الغرب حتى باكستان سوف يبدأ الصراع من اجل نظام عالمي جديد وهي الفرضية التي وافق عليها برنارد لويس .

ولعلي اشير هنا ، الى ان خطورة هذا الكلام الذي يطرحه هانتنجتون والفرضيات التي يسوقها ، والتي مايفتأ يبحث عن مبررات لها ، او اسانيد تدعمها ولو تاريخيا ، للوصول الى ماسوف يطرحه علينا ، والذي يبشر به ، باعتباره عرابا للنظام العالمي الجديد الذي تصبح فيه الولايات المتحدة قوة عظمى وحيدة ،

وتصبح الحضارة الغربية هي ام الحضارات ، حيث يشير الى هذا في اكثر من موضع فيقول ان صراع الحضارات سوف يحل محل الصراع الايديولوجي وكافة اشكال الصراع الاخرى كشكل كوني مهيمن للصراع .

ويعود فيكشف عن الهدف من هذه المقالة فيقول : ان هذه الدراسة لاتهدف للدفاع عن الرغبة في حدوث صراعات بين الحضارات ، بل تهدف الى توضيح افتراضات نظرية لما قد يكون عليه المستقبل .

ولقد سبق لي ان تعرضت بمزيد من التفصيل لهذه المحاضرة في عدد من المقالات اشرت فيها الى انه لا يوجد صراع بين الحضارات ، لان الحضارات لا تتصارع ، وانماهذا هو حال المصالح ، وان العالم يعيش الان مرحلة اخرى من مراحل تكامل او تواصل الحضارات . لان هذه هي طبائع الاشياء ، ولان ذلك ثانيا هو درس التاريخ الذي تعلمناه ، وقد أكدت رفضي لمقولات الصراع والصدام الحتمي .

وهاهو يعود مرة اخرى وفي مقال اخر بعنوان " ان لم تكن الحضارات فماذا تكون ، نماذج من عالم مابعد الحرب الباردة " والذي اكد فيه على ان هناك خريطة جديدة للعالم ، يتم رسمها ووضعها موضع التنفيذ ، وفي هذا لكلام ، تاكيد جديد على ان كاتبنا ، يحرث الارض امام الحضارة الغربية ، وامام العسكرية الغربية لكي تفرض ما اقتنعت به من مفاهيم الصراع ، لكي تخضع هذا الشرق العربي المسلم ، لهيمنة الحضارة الغربية

والثقافة الغربية ، والتخلي عن هويتها الحضارية المسلمة ، والانكفاء وراء العجز المادي والمعنوي ، واجترار الفشل المتوالي للمشروع العربي والاسلامي ، في مواجهة المشروع الغربي والصهيوني . باعتبار انهما مشروع واحد ، يهدف الى اخضاع العرب وهزيمتهم ، والابقاء عليهم خارج حدود الزمن ، وخارج حدود الحركة التاريخية المنطلقة الى الامام .

ثم يمضي هانتنجتون في طريق تشويه صورة المسلمين عبر مراحل التاريخ القديم والمعاصر ، وصولا الى فكرة غامضة يروج لها ، وهدف ماكر ، يخدم به الحضارة الغربية ، والالة العسكرية التي تتقدمها ، حين كتب مقالة بعنوان " عصر حروب المسلمين " والذي اشتمل على العديد من الاوصاف التي نعت بها المسلمين وعصورهم بانها ارض المعارك ، وفورة بركان العنف ، والعنف المتدفق ، والصدام الكوني ، اضافة الى ماوصف به المسلمين بانهم تاريخهم كله عبارة عن سلسلة من الحروب والصراعات المسلمة المسلمة ، والمسلمة ضد الاخرين بغرض التوسع ونشر الدين ، وقد اعتمدت مقالته على الترويج لفكرتي ان الاسلام حضارة عنيفة ، معيدا بذلك ماكان سبق وقد ردده من ان الاسلاميين السياسيين هم ابرز من يمثلون خطرا على الغرب بكل اشكاله ورموزه ، وثانيا بادعائه ان الاسلام غير متلائم مع الحضارة الغربية الحديثة ، ولا يمكن له ان يتعايش معها .

بل انه راح يدلل على صحة ماقاله حين اورد ان المسلمين الذين يشكلون عشرين بالمائة من سكان العالم ، متورطون في سبعين

بالمائة من النزاعات التي تدور على الارض .

كما يسرد فرضية اخرى ، صاغها بشكل يكون مقبولا لدى القاريء الغربي ، حين ادعى بان العلاقة بين الاسلام والمسيحية كثقافتين وحضارتين ، والصراع الذي دار في القرن العشرين بين الديموقراطية الليبرالية والماركسية اللينينة لم يكن سوى ظاهرة سطحية وزائلة ، بعكس الصراع بين المسيحية والاسلام فهو صراع مستمر وابدي ، فعلى مدى اربعة عشر قرنا من الزمان (هي تاريخ الاسلام) كانت العلاقة بين الحضارتين عاصفة ، مروجا لما قصده من دموية الاسلام ، وان هذه الدموية اصيلة فيه وليست شكلا عارضا اكتسبه على مر الايام .وقد ارجع الصراع بين الحضارتين الى طبيعة كامنة في كلا الحضارتين ، متهما الاسلام بالميل الى العنف والدموية ، وقد ربط بينها وبين الحركة الاصولية المعاصرة التي لولا العداء المستمر للمسلمين والعرب ، ماكانت هذه التصرفات التي يسلكها البعض ممن ينتسب الى الاسلام ، وانها لم تكن سوى رد فعل لما يحدث على الساحة السياسية من تدخل سافر من الغرب الامريكي والبريطاني والفرنسي من قبل في تشكيل حياة العرب والمسلمين ، ولجوء البعض ممن ينتسبون الى الحركة الاصولية الاسلامية الى العنف الذي يرفضه جمهور امة الاسلام التي تتجاوز تعداداتها المليار والنصف مليار مسلم حول العالم .

وكأنه استمرأ ، انتاج الاكاذيب ، واعادة صناعتها ، راح يدلل على صدق مايقول ، حين ادعى ان الاسلام لم ينتشر الا بالسيف ، وانه نشأ بين قبائل بدوية متناحرة ، وان القران ينادي بقتال غير

المؤمنين به ، وجميعها تشكل في ادعائه ميراثا من الكراهية والعداء عند الشعوب التي دخلت في الاسلام بحد السيف ، او اجبرت على الدخول فيه .

وتأتي خطورة هذا الكلام ، من ان كاتبنا يصدر احكاما عامة ، اطلقها لخدمة الاخر الذي يتربص بالشرق العربي والاسلامي ، وكأنه بوق ضمن فرقة عزف على لحن غربي متعصب .

وهنتنجتون الذي بسط وبشكل اخل كثيرا باهم قواعد البحث العلمي ، قد اصدر احكامه في واحدة من اهم اشكالات الحوار مع الاخر والتي مايزال العالم العربي والاسلامي يعالجها ، بهدف الوصول الى تفسير للعلاقة التي تربط العالم الاسلامي بالمد الشيوعي والحرب الباردة ، مستفيدا من موجات العداء للسلوك العدائي الذي تمارسه الولايات المتحدة الامريكية وانحيازها الكامل للكيان الصهيوني في فلسطين .

ولاشك في ان صامويل هانتنجتون يحاول ان يعزف نفس المعزوفة المشروخة والتي تروج للمسلم السيء الخلق ، والارهابي العربي والمسلم ، مستفيدا من مناخ العداء والتشكيك في النوايا للولايات المتحدة الامريكية ، والحرب الضارية التي تشنها وسائل الاعلام الغربية ، الصهيونية الهوى .

ولعلى ارى في مقولات هانتنجتون ضد العرب والمسلمين ، جدارا يشيده ، ليس بهدف تجسير العلاقة بين الشرق والغرب ، ولكن لتوسيع الهوة بين الطرفين ، ولتعميق الخلاف ، حيث انه لم يزل يردد مقولاته ، وافكاره ، ويزيد فيها ويعيد ، حتى يستقطب

المؤيدين ، والمناصرين ، وقد تغافل كاملا عن جميع الحقائق والوقائع التي دونتها اوراق التاريخ بان الثقافات والحضارات تظل حية ، تتواصل ، وتتكامل ، وتتحاور عبر القرون والعصور ، كما انها تتطور وتتفاعل وتنتقل من مكان لاخر ، كما انها لا تتصادم ولاتتنافس ، ولا تموت ، لانها ببساطة نبت انساني ، ستظل طالما ظل على وجه الارض انسان .وهي تستمد قوتها وزخمها من الحياة اليومية للانسان على سطح الارض .

وللتدليل على ذلك فانه يمكن القول بان وقود الحضارة الغربية ، والتطور التقني الذي يملكه الغرب ووضعه الحضاري الذي يتباهى به الان ، لم يكن له ان يبقى ، لو لم يستفد من المخزون الحضاري والثقافي المتعدد للحضارات التي سبقته ، على اختلاف هذه الحضارات التي شيدها الانسان في مسيرته ، الانسانية حتى اليوم .

ولست اشك في ان هانتنجتون يكمل الاجندة الامريكية في الشرق العربي والمسلم لادارة ازماتها مع العالم والتبشير بالعالم الجديد الذي تريده الولايات المتحدة الامريكية ، التي تستهدف تفكيك العالم الاسلامي واعادته مرة اخرى لوثنيته او مسيحيته ، ان ماجمعه الاسلام على مدى اربعة عشر قرنا من الزمان ، يجب اعادته الى سابق عهده وكأن الاسلام لم يات ، ولم تصدر دعوته ، ولم يخرج نبيه صلى الله عليه وسلم ، يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالقران الداعي الى خاتم الرسالات .

ولعل مايكمن من خطورة في هذا الذي يدعيه هانتنجتون

ومعه بقية اضلاع مثلث الشر في الفكر الامريكي المعاصر والذي يضم برنارد لويس وصامويل هانتنجتون وزبيجنيو بريزينسكي ، هو انهم يمثلون اضلاع اللوبي الصهيوني النشط الذي يجرجر الادارة الامريكية الى مواجهات وصراعات مع الاخر المسلم ، الى جانب تمهيد الطريق امام الصراع الذي يبشرون به ، والذي يحاولون ان يجعلوا منه حتمية تاريخية لا فرار منها ، واعتقد ان هذه الحتمية . وكما سبق وان قلت . مثل الشيوعية التي كانت يوما حتمية تاريخية ، والتي مالبثت ان انهارت امام عنف وجبروت رأسمالية السوق وضربات الحرب الباردة ، وقيم اقتصاديات السوق ، وموجات العولمة الجديدة وقيمها العاتية .

ولكي ارد على هذه المقولات التي تدعي بوصف الاسلام بانه دين عنف . واتهام مبطن . بانه دين يشجع على الارهاب ، سوف اسوق في الجزء الاخير من مقالتي مثالا بسيطا ، ماتزال كتب التاريخ تذكره ، ولا فضل لي الا انني اعيد التذكير به .

في كتابه الذي اصدره البروفيسور دي لورينزو " الوجه الحقيقي للينكولن " طرح عددا من الاسئلة وكشف عن حقائق ربما كانت غائبة عن الكثيرين ، وللعلم فان الرئيس الامريكي ابراهام لينكون والذي تذكره كتب التاريخ بانه محرر العبيد في الولايات المتحدة الامريكية ، لم يكن يؤمن في يوم من الايام بالمساواة بين الاجناس ، فقد كان يعارض دوما الحقوق المتساوية للسود ، كما كانت خطته التي طالما عمل على تحقيقها هي ارسال كل الامريكيين السود الى افريقيا وهاييتي وامريكا الوسطى ، واي

مكان اخر خارج الولايات المتحدة . نوعا من الترانسفير . وهنا يتساءل الكاتب وانا اردد مايقول : لماذا لم يحاول لينكولن ان ينهي موضوع الرقيق بصورة سلمية من خلال اعتاقهم كما فعلت ذلك عشرات الدول في ذلك الوقت ، بما في ذلك الامبراطورية البريطانية في الفترة مابين العام ١٨٠٠ م . والعام ١٨٦٠ م ؟كيف حول لينكولن وجهة التاريخ الامريكي باعتباره ان أي نوع من انواع تقسيم الولايات المتحدة ، بمثابة الخيانة ؟

لماذا اعتبر اللورد اكتون كبير المؤرخين البريطانيين لفترة التحرير ان تجيز حق الانفصال للولايات المتحدة قد قضى على اكبر عائق امام التوسع الحكومي ؟

كيف ان لينكولن انتهك اقدم قوانين الحرب بشنه حربا متعمدة على المدنيين ؟

وقد كانت له سابقة ابادة الهنود الحمر التي بدأت مباشرة بعد اشهر من استسلام الجنرال ليي ؟

كيف ساعدت اجيال من المؤرخين في ترسيخ مقولة ان لينكولن كان وحده المدافع عن الدستور رغم اعماله غير القانونية وغير الدستورية ؟

لماذا كانت حركة اعادة البناء فعليا عبارة عن عملية نهب منظم للجنوب جنبا الى جنب مع الاجراءات القاسية ضد العبيد السابقين التي لاتزال اصداؤها تؤثر على العلاقة بين البيض والسود حتى اليوم ؟

لماذا اعتبر ان حالات الفساد سيئة السمعة لادارة الرئيس

جرانت عاقبة حتمية لارث لينكولن الاقتصادي ؟

كيف نشأت الحرب التي شنها لينكولن على المجمع الصناعي العسكري ؟

كيف ان لينكولن الذي كان بعيدا كل البعد عن انقاذ الاتحاد وهو الذي دمر رؤية منشيء هذه الفكرة لاقامة تحالف كونفيدرالي بين الولايات ؟

كيف نقل لينكولن امريكا من جمهورية دستورية الى امبراطورية متماسكة تتعامل بالحكم المطلق الاستبدادي في الداخل وبسياسة يغلب عليها المغامرة في الخارج ؟

لقد خلص الكاتب الى ان لينكولن استغل الحرب التي شنت لتحرير العبيد لتحقيق اهدافا ليس من بينها تحرير العبيد ، حين قرر ان يشعل الثورة في شكل الحكومة في امريكا .

وكأن الكاتب يقول ، ليس هناك ما يبرر كل هذا العنف ، وكل هذا الارهاب الذي مارسه لينكولن ، فقد كانت المسالة ابسط من هذا كله ، فقد كان لينكولن نتاج مجتمع استيطاني من الدرجة الاولى ، واكرر ان على الذين يتهمون الاسلام بما في نفوسهم من عيوب ، عليهم اولا ان ينظروا الى مابدواخلهم . وادعوهم بدوري الى محاولة فهمنا ، وفهم قيم الاسلام ومبادئه وان يعيدوا القراءة حتى يتكامل الفهم .

الفريد هاليدي :
العنصريون حين يروجون لصراع الحضارات

درج كتاب ومفكرو العرب على تصنيف الكاتب البريطاني فريد هاليداي على انه مستشرق بريطاني ، الا انني اعتقد ان ما نتج عن هذا الكاتب ، وما اصدره من كتب ، وماعبر عنه من افكار ، يخرج به من دائرة المستشرق ، الى افق المفكرين والكتاب الذين سعوا الى خدمة الانسانية ، بحياديته وعلمه وسعة اطلاعه ، وصواب ماتوصل اليه من قناعات واراء .

هذا الكاتب الذي اسعى للولوج الى عالمه الفكري والسياسي ، والموسوعي . على حد علمي واجتهادي . حتى نتعرف على قيمة ماينادي به ، في اراء منصفة . الى حد كبير . للاسلام والمسلمين ، هو واحد من اهم الكتاب الذين كان لهم موقف محدد من ثلاث قضايا ، اعتقد انها من اهم القضايا التي تواجه العالم الاسلامي ، والتي تشكل اشكالية فكرية وسياسية هامة تؤثر على علاقات هذا العالم الاسلامي بالاخر ، هذه القضايا هي على التوالي :

■ الاصولية الاسلامية ، وهموم الاحتكاك المباشر بين الشرق والغرب ، وحدود هذا الاحتكاك ، خاصة في ظروف استمرار هجرات الجماعات والافراد المسلمة الى العالم الغربي ، والذي يجد بعض تجسيداته في اوضاع هذه الجماعات المهاجرة ، واحتكاكها المستمر بالنمط الغربي في الحياة ومايحتويه من فكر وثقافة وحضارة .

■ خرافة المواجهة بين الاسلام والغرب ، وحقيقة هذه المواجهة بين الدين والسياسة في الشرق الاوسط والشرق الاسلامي بوجه عام ، والغرب بما يحتويه اللفظ من مجازات فلسفية وعرقية وثقافية .ومواجهة المنادين بصراع الحضارات بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية ، ككيانين منفصلين ، متضادين ، متعارضين ، في ظل هيمنة غربية تسعى الى انزال الهزيمة بالاسلام وحضارته .

■ خرافة التهديد الاسلامي للغرب ومايمثله من قيم ومباديء ومكتسبات حضارية وغيرها ، والتوجه الدائم للغرب في البحث عن عدو جديد خصوصا بعد انهيار الشيوعية ، وانتصار مفاهيم اليات السوق ، والفكر الراسمالي على حساب الفكر الاشتراكي ، وافتعال المعارك مع الاسلام وجرجرته الى مواجهة عسكرية مع رموز القيم الغربية .

كاتبنا . المستشرق . والذي يعمل استاذا للعلاقات الدولية في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية ، له راي في هذه المسائل والمعضلات التي تشغل بال المسلمين والغربيين بشكل عام ، سواء في

تفسير الاصولية ، وفي انعكاسات هذه الظاهرة على علاقات الشرق بالغرب ، واخيرا اهم مايميز الحركات الاصولية ، واستشراف حدود المستقبل لهذه الحركات الاصولية التي تنتشرفي العالم الاسلامي ، والعالم الغربي على حد سواء . فالى جانب الاصوليات المسلمة ، هناك ايضا الاصوليات المسيحية ، والاصوليات اليهودية والتي يمثل تحالفهما ، تحديا مستمرا لاستقرار العالم ، في ظل نظام عالمي جديد ، يتحسس طريقه الى عولمة جديدة ، ترسي دعائم عالم مابعد الحرب الباردة ، وعالم مابعد تعدد الاقطاب .

يقول كاتبنا حول تفسيره لظاهرة الاصولية الاسلامية ، في العالم العربي . على سبيل المثال. ان اسباب انتشارها لايمكن ان يتم في اطار ديني ، ولا بالاشارة الى شيء ما ينفرد به العالم العربي ، بل يجب ان يجد مرجعيته في عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وينبغي ان يكون مقارنا ولا ينحصر صعود الاصولية بالدول العربية او الاسلامية ، فنحن نرى في اجزاء عدة من العالم ، حركات تناشد الشعور الديني وتجمعات جرى تحديدها على اساس ديني ، ونلاحظ هذا في ايرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت ، وبين احزاب هندوسية شوفينية في الهند ، كما نلمسه ايضا في قطاعات من اليمين الصهيوني في اسرائيل ، وكذلك المسيحيين الاصوليين في الولايات المتحدة الامريكية ، ونشاة مايسمى بالصهيونية المسيحية . وعلى الرغم من اختلافها جميعا في مصادرها وتوجهاتها ، الا انها تشترك في امور ثلاثة هي : ان هذه الحركة لا تمثل محاولة لادخال الناس في

دينها بل تهدف الى تعبئة هذه التجمعات الدينية بقصد بلوغ اهداف سياسية ، الى جانب انها تستعين بالتقاليد ، لانها تعيد تفسير الماضي والتقاليد الدينية كي تقدم برنامجا سياسيا معاصرا عن التنمية الاقتصادية والاستقلال وقضايا اجتماعية وغيرها ، وثالثا فان اهم مايعني هذه الحركات ، هو الوصول الى السلطة السياسية والاحتفاظ بها باي طريق .

وقد ارجع الكاتب نشأة هذه الحركات الاصولية الى مشاكل حقيقية تعيشها مجتمعاتها . على اختلافها . وظروف ازدحام مديني ودول فاسدة وتاثير واهانة خارجيان وتغير ثقافي ، وازيد عليها مواجهة التحديات الخارجية المستمرة .

وحول الصراع الذي يدعيه الغرب من جانب الشرق المسلم ، فالكاتب يعود فيدحض هذه الادعاءات بقوله : في نهاية الحرب العالمية الباردة دار الحديث عن صراع عالمي جديد بين العالمين الاسلامي والغربي ، وفي بعض الدول الاسلامية هناك من يتحدث عن تحدي الراسمالية الغربية ، وهذا في اغلبه . في رايي . هذر فارغ ، ذلك ان الحركة الاسلامية ليست معنية على الاطلاق بالغرب ، بل بمجتمعات اسلامية ، اما من الناحية العسكرية ، فلم يشكل العالم الاسلامي تهديدا جديا للعالم الغربي منذ القرن السابع عشر ، اما اقتصاديا فالتهديد الاجنبي المستمر الذي يتعرض له الغرب ، ات من دول الشرق الاقصى وامريكا اللاتينية ، وليس من الشرق الاوسط ، حيث الوضع الاقتصادي ، باستثناء النفط ماساوي ، والدول الغربية ، من جانبها ليست في حاجة

الى عدو اسلامي ، او خلافه ، بل هي في حاجة الى اقامة علاقات اقتصادية وسياسية على اسس متينة ومواتية .

وفي المحور الثاني ، لفكر كاتبنا البريطاني ، والذي يطلق عليه خرافة الخوف من الاسلام ، نجد ان الكاتب قد تأثر، بفحوى التقارير العديدة التي راحت تتحدث في بريطانيا عن فوبيا الاسلام ، او الاسلاموفوبيا ، والتي تصور الاسلام على انه دين بربري ومتوحش ، يحث اتباعه على العنف والارهاب ، ويفرض على المجتمعات المسلمة حالة مزرية من الخمول والكسل بدعوى التوكل ، الامر الذي جعل التخلف قدرا مكتوبا على هذه الشعوب والمجتمعات ، بحيث انها اصبحت غير قادرة على . وفي الحقيقة عاجزة عن . استيعاب التقدم والتفاعل مع عناصره ، وعليه فان المسلمين . وفق هذا التصور. سوف يكونون عبئا على العالم ، ومصدرا دائما للقلق والازعاج والتوتر .

وفي مواجهة هذه الادعاءات اصدر كاتبنا كتابه الشهير المعنون " الاسلام والغرب ، خرافة المواجهة . الدين والسياسة في الشرق الاوسط " والذي طرح فيه محاولة لتحديد المفهوم ، وضبط المصطلح ، فهو يدعو الى انه من الضروري التمييز بين معنى الاسلام بوصفه دينا ، والاسلام بوصفه ظاهرة سياسية ، وهذان المصطلحان مختلفان ، ويجب التفريق بينهما ، حتى يمكن ان نصل الى حقيقة هذا الصراع الذي يزعمون ، فهو يقول بان الاسلام اولا دين له عقائد واضحة معينة ، وهذا يخرج عن نطاق تخصصه فهو ليس رجل دين ، واما مايتعلق بالمعنى الثاني

للمصطلح . الاسلام بوصفه نظاما اجتماعيا وسياسيا . يقول : ينبغي أن يصبح واضحا على وجه السرعة ، اني لا اعتقد ان هناك جدوى تذكر من اعتبار الوقائع الاجتماعية والسياسية الكثيرة ، التي يصبح فيها المصطلح جزءا من ظاهرة واحدة وليس هناك الكثير مما يمكن تفسيره او اطراؤه او التنديد به .

ويعود فيقول بان الفكرة القائلة بوجود صراع دائم مع الغرب ، وبوجود صراع يمكن احياؤه مع نهاية الحرب الباردة ، هذه الفكرة ليست سوى اختراع ديماجوجيين اوروبيين اوامريكيين ، وقد بدا ان البعض في العالم الاسلامي باتوا يؤكدون الاحكام العربية المسبقة بالتشديد على انهم لاحقا سوف يحلون محل البلشفية . الشيوعية . بوصفهم التحدي الاكبر للغرب .

ويخلص الكاتب الى استنتاج مفاده ان مفهوم الخطر الاسلامي ذاته اكذوبة ، والحديث عن صراع دائم بين العالمين الاسلامي والغربي انما هو لغو ، فمن السخف النظر الى البلدان الاسلامية على انها تهدد الغرب ، ويعيد فيؤكد أن هذه الخرافة ، باتت مستديمة من جهتين متناقضتين في الظاهر من معسكر الغرب بالدرجة الرئيسية ولكن ليس في الغرب حصرا ، هذا المعسكر الذي يسعى الى تحويل العالم الاسلامي الى عدو اخر ، ومن معسكر اولئك الذين يدعون من داخل البلدان الاسلامية الى المواجهة مع العالم غير المسلم وخاصة العالم الغربي .

ويفسر الكاتب هذا بقوله : ان مقولة العداء الخالد هذه تتكامل مع الصورة الكاريكاتورية المعادية للاخر ، من قبل اولئك الذين

يبررون العداء للاسلام بان العالم الاسلامي نفسه عدواني ، وانه كان دوما ، يستحق مايلقاه من عداء ، وهذا خلط للاوراق ، وفهم مغلوط لما يحدث في ارض الواقع .

هذا ماعبر عنه الكاتب فيما يتعلق بالاطارين السابق طرحهما ، بيد ان الكاتب ، ادرك ان ما تداوله كبار الكتاب الامريكيين وعلى راسهم صامويل هانتنجتون فيما يتعلق بمقولة " صراع الحضارات " فانه حرص على التعبير عن رايه في كتاب جريء ، كان متأثرا والى حد كبير باحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م ، والذي عنونه باسم " ساعتان هزتا العالم .. الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، الاسباب والنتائج " والذي خلص فيه الى ان صدام الحضارات خرافة ، مثلما كان العداء الاسلامي للغرب ، مهزلة روج لها الغرب لاخافة المسلمين واستدراجهم الى مواجهة غير متكافئة .

ويقول الكاتب ان هذا الحدث الذي وقع للولايات المتحدة الامريكية ، لم يكن متوقعا في حجمه ولا في طريقه تنفيذه ، او النتائج التي ادى اليها ، فهو حدث تاريخي بكل المقاييس ، حيث يقول بانه ينبغي ان نتناول هذا الحدث ضمن سياق الاحداث التي سبقته والتي تلته ، فهو حدث معولم او عولمي بمعنى ان الحدث تجاوز جميع الجهات المباشرة فيه ، والتي صنعته او شاركت في صنعه ، وان تداعياته تجاوزت ردود الفعل القريبة وتاثيرات تتجاوز الاطراف المباشرة المنخرطة فيه ، كما ان لها تداعيات عميقة على مستوى العالم ، ولذا فهي تتسم بسمة معولمة ، حيث انها قلبت

التـوجهات الامـريكية في السياسة الخارجية التي كانت تميل الى الانعزال عن العالم ،والالتفات الى الشئون الداخلية اكثر فاكثر ، (مشروع الدرع الصاروخي . الانسحاب من اتفاقية كيوتو للبيئة . عدم التصديق على معاهدة الحد من انتشار الاسلحة البيولوجية . الغاء معاهدة الحد من انتشار الصواريخ العابرة للقارات) وهذه جميعا عبرت عن انسلاخ امريكا عن العالم ، والتوجه الى نوع من العزلة .

ولا يفتأ كاتبنا يشير في اكثر من موضع من الكتاب الى ان الاسباب والخلفيات التي تكمن وراء هذا الحدث غير المسبوق في التاريخ المعاصر . على الاقل . ليست سوى حاصل جميع تراكمات من العوامل والظروف التاريخية تتعود جذورها الى عقود طويلة ماضية ، وهي الاسباب التي يصنفها الى اسباب تاريخية ، وعامة على مستوى شكل العلاقات الدولية ، الى جانب الاسباب المعاصرة والمباشرة على مستوى عدد من الدول والمجتمعات .

ولا يزال الكاتب يشير الى ان صدام الحضارات خرافة من الخرافات التي لجأ اليها الفكر الغربي الامريكي بالتحديد ، حيث يختلف الكاتب مع زميله الامريكي هانتنجتون من ان هذه المشاكل التي يواجهها العالم الاسلامي والتي صنفها بانها ازمة لها بعدها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، هي ازمات ليست مستعصية الحلول ، بل هي مقدور عليها وقابلة للحل .

على ان المثير للدهشة ، هو ان يقف كاتب بقامة هاليداي لينادي بخرافة هذا الصدام ، وهو نفس المنطق الذي يدافع عنه

المسلمون ، والذين يرون في ان الحضارات لا تتصادم ، كما انه لا يجب على الحضارات ان تتصارع ، وهذا درس تعلمه المسلمون من التاريخ .كما يلفت النظر ايضا ، ان هاليداي ، وهو واحد من دعاة الحوار بين الحضارات ، ويمثل مع ثلة من اصدق الكتاب الغربيين رؤية ، وبصيرة بحقيقة الصراع السياسي بين الشرق والغرب ، والذي يعود لنكبة العرب والمسلمين في فلسطين ، والانحياز الكامل للقوة الوحيدة في العالم ، الى جانب الظلم والعنصرية والتعصب والصهيونية التي استمرأت الارتكان الى احدى القوى العظمى ، لتوفر لها الحماية والامان .

ولاشك في ان كاتبنا الذي افضل نعته بانه كاتب نزيه ، اثر ان يجاهر برايه وسط ركام الاتهامات للمسلمين بانهم ارهابيون ، عسى ان يصل هذا الصوت ، وان يشتد عوده ، ويزهر وسط صحراء الاتهامات الامريكية الجائرة والمنحازة ، والغير نزيهة .

مهاتير محمد :
الحوار في مواجهة ايديولوجية صدام الحضارات الجديدة

مهاتير محمد ..

فصل جديد من سفر حوار الحضارات .. وفي الحقيقة ، فانه كان حاضرا المشهد كله ، من بدايته ، بل انه سبق الجميع ، ووضع الاطر الضرورية ، حتى تكتمل الصورة على مسرح الاحداث .

الرجل مارس حوار الحضارات ، الذي نادى به الدين الذي يحمله في قلبه ، مثلما مارس حقه في قول الحقيقة التي ارقت اللوبي الصهيوني ، وحملة مفاتيح الهيكل ، وكهنة المعبد التوراتي المتصهين ، لانه اول من اكتوى بنار هذا اللوبي المدعوم ، بسياسات امبراطورية خائفة ، وامبراطور اختار ان يعلن الحرب على العالم ، شرقه وغربه ، ودفعه خوفه المركب ، الى اعلان الحرب على الاسلام والمسلمين ، تحت العديد من الشعارات التي روجت لها الملتي ميديا العالمية .

الرجل اختار ، توقيتا ربما كان صائبا ، او ربما كان غير ذلك ،

المهم انه قال كلمته ، قبل ان يرحل ، تاركا المسرح السياسي العالمي ، يعبث فيه الصغار من الساسة ، والخبراء والاعداء الذين تكاثروا اليوم للنيل من الاسلام والمسلمين ومن رموزهم .

ولم تكن مصادفة ان تدوي بضع كلمات قالها د. مهاتير محمد في نهاية اجتماعات منظمة المؤتمر الاسلامي ، في نفس الوقت الذي تفوه فيه الرجل الثالث في وزارة الدفاع الامريكية بكلمات وصف فيها المسلمين بانهم وثنيون ، وانهم يعبدون وثنا ، وان الهه افضل من اله المسلمين الوثني .

وقبل ان استرسل .. اجد لزاما علي ان استعيد الكلمات التي قالها مهاتير محمد ، في معرض الحديث عن اليهود وسياساتهم التي مكنتهم من قيادة العالم ، وارهابه والسيطرة على الامبراطورية الخائفة الى حد الرعب . " من مجموع ١٢ مليون يهودي ، قتلت اوروبا منهم ستة ملايين ، لكنهم يحكمون العالم اليوم بالوكالة ، فقد افلحوا في ان يقنعوا الاخرين بالقتال والموت نيابة عنهم " وحين اشتدت عليه حملة العداء للسامية ، دلل على ان اليهود فعلا يحكمون العالم بالوكالة ، حين انبرى له العالم الغربي كله ، بالهجوم عليه واتهامه بالعداء للسامية ، ولم يقف الهجوم عليه عند هذا الحد ، بل تعدته الى الساسة وقادة الدول الذين راحوا يرسلون برقيات الاحتجاج ، وفرض العقوبات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية ، في ابتزاز واضح ، وبعد استنفار كل القوى الصهيونية في العالم ، والتي راحت تدعو الى مقاطعة مهاتير محمد ، ومقاطعة ماليزيا نفسها ، ودخل كل

اعداء المسلمين على الخط في دعوة سافرة الى النيل من كل المسلمين باعتبار ان مهاتير قد افصح عن مكنون كل المسلمين .ولم يكتفي مهاتير بما قاله ، بل سلم العالم مبررات ماقال حين فضح اساليب اللوبي الصهيوني ، ومن تعاون معه ، ومن سار على نهجه ، وحارب نيابة عنه ، فقال " ربما طالتنا المقاطعة ، لكن القضية هي كالتالي : هل نقبل ان نكون ضحية ابتزاز او ندافع عن انفسنا في ما هو عادل ، اعتقد اننا يجب الا نخضع " واضاف في معرض اخر رافضا التراجع عن ماقاله ، بقوله : ان اليهود معادون للاسلام والمسلمين ، وعليه فيجب كبح جماحهم ، واضاف : العديد من الصحف مملوك لليهود ، وبالتالي فانت لا ترى سوى صورة واحدة للمسلمين ، اننا ارهابيون لا نستخدم عقولنا ولا نستطيع ادارة شئون بلادنا وبالتالي فاننا عاجزون عن النهوض بها ".

لقد اراد مهاتير محمد ان يقول للعرب والمسلمين والفلسطينيين على وجه الخصوص " ليكن لكم في اليهود اسوة حسنة ، فهم على الرغم من قلة عددهم الا انهم تمكنوا من ان يكون قادة العالم ، او الراس التي تحكم العالم ، ولو باسماء غير يهودية ، وسياسات غير يهودية ، الا انها تصب في صالحهم ، وتمكنوا من تجيير كل ساسة العالم ، وقادته الى العمل لحسابهم ، منذ اليوم الاول الذي خططوا فيه لنهب فلسطين ، وطرد اهلها منها ، وتنفيذ المشروع الصهيوني على ارض العرب في فلسطين .

وقد فهمت عباراته على غير الحقيقة التي ارادها ، لانه لا يتقن لغة التامر. واسرائيل التي هي من اصغر دول العالم ، واليهود الذي

يمثلون الاقلية الدينية في العالم فهم يملكون الاعلام العالمي ، واموالهم تسيطر على اقتصاديات العالم ، ومندوبوهم يسيطرون على كافة صناع القرار في العالم ، ويملكون مالا نقدر عليه وهو تجنيد الراي العام العالمي لصالح سياساتهم واطماعهم ، وهم على غير حق ، او شرعية ، ونحن لا نقدر ان نفعل فعلهم .

في اعتقادي ان مهاتير محمد ، قال بعض مانعجز عن قوله ، وحين قاله ، خذله العرب والمسلمون ، وتخلوا عنه ، وتركوه فريسة لقوى البغي والعدوان الصهيوني ومن سار معهم .واذا ما حاولنا ان نعيد قراءة ماقاله رئيس الوزراء الماليزي المستقيل ، او المعتزل للعمل السياسي طواعية ، وبعد ان حول ماليزيا الى دولة يشار اليها ضمن الدول الكبرى اقتصاديا وسياسيا ، وهي تحتل المرتبة الثامنة عشرة اقتصاديا ، والتي انتصرت في تحديها على العولمة الاقتصادية ، وصنعت لنفسها مكانة منافسة ، واقتصادا قادرا على التحدي والتفاعل ، اقول اذا اردنا اعادة قراءة ماقاله ، فاننا نوجز هذا في النقاط التالية :

●● ان المسلمين من حقهم ، مثلما ان من حق اليهود وبعد ان فعلوا ذلك مرارا في ادانتنا والتعريض بنا وبديننا وعقديتنا . ان يدينوا اسرائيل وان ينتقدوا مضطهديهم من اليهود والصهاينة ، وان من حق المسلمين ان يدينوا التصرفات الصهيونية ومؤيديهم نظير قتلهم الفلسطينيين واستيلائهم على ارض المسلمين واعطائها لليهود ، وذلك حين تساءل قائلا : اليس لنا ان نغضب من اليهود ، هل اليهود مخلوقات لايمكن ادانتها باي حالة ؟

●● اعلانه لموقفه الواضح من الممارسات اليهودية والصهيونية في فلسطين ، بقوله : انا لست معاديا للسامية ، انا ضد اليهود الذين يقتلون المسلمين واليهود الذين يؤيدون قتلة المسلمين ".

●● هجومه على مؤيدي اليهود والصهيونيين من الغرب الذي مايفتأ يعلن عن عدائه لكل ماهو عربي ومسلم ، وذلك بسبب اتباعه سياسة المعايير المزدوجة ، حين وصف الغرب المؤيد لاسرائيل بقوله :" لقد ادنت الاوروبيين بقدر ما ادنت اليهود ، انتم تقولون انكم لستم تخضعون لنفوذ اليهود ، ومع ذلك فحينما انتقدت اليهود اراد الاتحاد الاوروبي باسره ادانتي ، لكن حينما يدين احد المسلمين ويصف نبيي بالارهابي ، هل يقول الاتحاد الاوروبي أي شيء ، أينا رهن اشارة اليهود ؟

●● بل انه حمل عليهم الاستغلال التجاري ، والممارسات التجارية التي تفتقد للاخلاقيات . التي تربى عليها اسلاميا . فيقول : " ان الاوروبيين احتلوا الاراضي الجديدة لكي يتوسعوا في تجارتهم ، انا لا ابالي اذا كان الاوروبيون يكرهونني ، لي اصدقاء اوروبيون ، لكن عندما يقعون في الخطأ ، ساقول لهم انه خطأ ."

●● ان ماقاله مهاتير محمد ، لخص تجربته مع اليهود والصهيونية ، ومع الغرب المماليء للصهيونية العالمية ، والممون الرئيس للاطماع الصهيونية في ارض العرب والمسلمين ، وبعد ان خرجت ماليزيا من التجربة الاقتصادية المريرة ، وحققت انتصارها بعد الكبوة الاقتصادية التي تعرضت لها في اعقاب المؤامرة التي دبرها الملياردير اليهودي سوروس والذي ضارب على العملة

الوطنية لدول عديدة في جنوب اسيا ، في مؤامرة حيكت لضرب اقتصاد النمور الاسيوية ، وقد خرجت ماليزيا من الازمة منتصرة ، وذات اقتصاد قوي قادر على التحدي ، وقد عبر هو عن ذلك بقوله :" في الماضي حاولوا قتلنا اقتصاديا وسرقوا اموالنا وافقرونا ، لكننا تمكنا بفضل الله من اجتياز المحنة ."

●● برزت شجاعة مهاتير حين اشار الى الدول التي تدعي محاربة الارهاب ، وهي تمارس الارهاب ، مشيرا الى شيوع قتل الابرياء منذ احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م ، لتحقيق بعض الاهداف ، او لمجرد الانتقام وان الذي يقوم بهذا الارهاب الذي يخشاه العالم ، الان هم دول لها برامج ارهابية ، فقال : ان الارهاب الذي تمارسه الدول والمارقون التابعون لها له صور اخرى من بينها الارهاب الاقتصادي الذي يسبب اضرارا بالغة للحياة والممتلكات مثل القنابل والصواريخ ويزرع الرعب في قلوب الضحايا .مشيرا الى مالهذا النوع من الارهاب الذي يمارسه المضاربون والمستغلون من اثار ذات بعد أطول مدى من ارهاب الافراد حيث انه يتسبب في فقدان العمال لوظائفهم بالملايين ويعصف بالاستقرار الاجتماعي ويؤذي الاقتصاديات الوطنية ، واذا تدخلت الحكومات للمساعدة فانها تتهم بالمحسوبية من جانب الدول التي تتدخل لمساعدة شركاتها وانقاذ صناديق اموالها وهي معصومة من أي اتهام ، وقد حذر في ذات الوقت الدول الفقيرة من الخضوع للدول الغنية في اعقاب فشل جولة المحادثات بين الاغنياء والفقراء في منظمة التجارة العالمية في كانكون بالمكسيك ، وهو

الفشل الذي سبق وان كتبت عنه بانه نجاح للفقراء في افشال فكرة ان يتحمل الفقراء وابناؤهم فاتورة العولمة الباهظة التكاليف وحدهم ، بعد ان رفض الاغنياء الطعام الذي زرعته ايدي الفقراء .وقد اشاد بتماسك الدول النامية في مواجهة اطماع الدول الغنية ، دفاعا عن حقوقها .

●● ان مهاتير محمد الذي فتح باب الحوار الحضاري ، الذي اغلقه الغرب ، حين نادى صامويل هانتنجتون بضرورة الصدام الحضاري بين شرق مسلم ، وغرب مسيحي ، في سابقة هي الاولى من نوعها ، بعد ان كان السجال بين مفكرين وخبراء وكتاب ونخبة ثقافية ، دخل الساسة من الباب الواسع للحوار او الصدام ، ذلك ان مهاتير محمد يمثل حالة ثقافية فريدة من نوعها ، وان دخوله حلبة السجال بين حوار حضارات اراده تعبيرا عن ثقافته الاسلامية المنفتحة على الحوار ، وقد حمل تجربة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية فريدة ، وجريئة ، وبين صدام يريده الغرب باي طريقة ، وعلى أي مستوى ، وقد اشتبك معه الغرب بكل اطيافه في سابقة هي الاولى ايضا من نوعها، حين زج الغرب المسيحي نفسه في مواجهة . نيابة عن اليهود . وكانهم حملوا عنهم حق الدفاع عن اليهود والصهيونية العالمية ، وكانهم شركاء في المواجهة ، ويمثلون الاخر في صدام الحضارات الذي بشر به هانتنجتون ، ويسعى اليه الغرب ، في غفلة من العالم العربي والاسلامي والذي اكتفى بالفرجة ، وقراءة الاحداث في الصحف ومتابعتها على شاشات التلفاز ، وعبر وسائل الملتي ميديا التي برع الغرب في

ابتكارها كنوع من الالهاء لسكان الارض العربية والمسلمة .

●● ان هذا الحوار الذي طرحه مهاتير ، ورفضه الغرب معلنا انه تبنى الصدام بديلا عن أي حوار ، قد اكد على حق المسلمين في المشاركة فيما يدور من حولهم ، وان عليهم ان يكونوا قوة فاعلة في احداث العالم .

●● مهاتير محمد ، حرك المياه الاسنة ، ولو في الوقت الضائع بالنسبة له . على الاقل . الا ان الوقت كان مناسبا لكي يحرك مابقي في العالم العربي والاسلامي ، من حس وشعور وارادة ،باعتبار اننا ساحة الصراع ، وان على ارضنا سوف تدور اعنف معارك صدام الحضارات ، ولم يكن مصادفة ، ان يخرج علينا ثالث مسئول في البنتاجون متطاولا على الاسلام والمسلمين ، والتي لم تتناولها الادانة الكافية او التصرف الحاسم من أي من قيادات البنتاجون او البيت الابيض الامريكي ، لانه باختصار. ياتي في نفس السياق الذي رسمته القيادة الامريكية ، والقيادات التي تخطط للصراع الحضاري ، او صدام الحضارات ، وماهذه الاقوال او الاستفزازات ، الا علامات على الطريق ، او براهين ، او خطوات للتسخين الصدامي ، فماذا قال هذا القائد العسكري الذي حرص على ان يتهم المسلمين بانهم وثنيون وسط جمع حاشد من ابناء الكنيسة التي ينتمي اليها ، وبزيه العسكري الكامل .

يقول الجنرال " وليام بويكين والذي عين في منصب نائب مساعد وزير الدفاع المكلف بقسم جديد لمطاردة تنظيم القاعدة ومسئولين اخرين في منظمات ارهابية :" ان المسلمين يكرهون

الولايات المتحدة ، لاننا امة مسيحية ، ولن يتم القضاء على عدونا الروحي الا اذا وحدنا صفوفنا ضده باسم يسوع المسيح ، وفي معرض حديثه عن واقعة حدثت له في الصومال ، والتي واجه فيها الجيش الامريكي اصعب ايام حياته دفعت به الى الهرب والانسحاب في مواجهة خاسرة مع فلول من المقاتلين الصوماليين الذين اذاقوا القوات الامريكية المر كله ، بعد ان تم سحل جنديا امريكيا امام المارة ، فقال بعد فشل غارة استهدفت زعيم الحرب الصومالي محمد فرح عيديد وشنتها قوات النخبة الامريكية لشبكة تليفزيون سي ان ان " والكلام لعيديد " ان الامريكيين لن ينالوا مني لان الله سيحميني ." ساعتها قال بويكين تعليقا على ذلك " حسنا ، هل تعملون شيئا ، كنت اعلم ان الهي كان اكبر من الهه ، كنت على يقين ان الهي اله حقيقي ، بينما الهه مجرد وثن " استغفر الله " ، وفي اعتقادي ان هذا الكلام صادر عن جاهل او حاقد ، على الرغم من اعتذاره الشكلي ، وصمت ادارته وتبريرها لكلامه وتصرفاته .

في ذات الوقت ايضا ، يخرج علينا واحد من صحفيي فرنسا مهاجما الاسلام ، هو الكاتب الفرنسي كلود ايمبير " وهو كاتب افتتاحيات في مجلة " لو بوان " الفرنسية " ان لديه نفورا من الاسلام ، مشيرا في حديث الى محطة السي أي التليفزيونية الخاصة ، الى ان الاسلام يحمل مجموعة من الحماقات والتقاليد القديمة المتخلفة .ولا يزعجني ان اقول ذلك ، واضاف بقوله : لدينا الحق في محاربة العنصرية وفي القبول بممارسة هادئة

للاسلام ، ولي الحق ، وهناك غيري في هذا البلد . يقصد فرنسا . يفكرون مثلي بان اقول ان الاسلام كديانة يحمل طريقة في النظر الى المراة وفي التقليل من مقامها في شكل مستمر ، واضاف : لا يوجد أي سبب للتنازل الى حد نكران القناعات العميقة بداعي التسامح .

وغير ذلك كثير ، فالملف كبير ، ويحتوي العديد من محاولات التطاول على الاسلام ، . وهم في الحقيقة يرمون الاسلام بكل نقيصة في ثقافتهم وحضارتهم وعقائدهم المشوشة ، ان قيمة هذا الكلام الموجه الى الاسلام والمسلمين ، يقوض والى حد كبير ، واحد من الاسس التي يقوم عليها الحوار ، وهو الاعتراف بالاخر ، واحترامه ، واحترام عقيدته وثوابته ، ويسعون في ذات الوقت الى طرح فرضية صدام الحضارات .

وهاهو مهاتير محمد ، يكشف ايديولوجية الغرب الجديدة في فرض حتمية صدام الحضارات للتعجيل بالمواجهة ، التي لن يربحها احد ، فالجميع . ان قامت . سوف يخسرون كل شيء ، ولا اتجاوز ان قلت ان صدام الحضارات الذي يذكيه الغرب وساسته ، سوف يكون طوفانا يجرف امامه كل شيء ، اقوى من طوفان نوح ، واعتى منه ، لان طوفان نوح بنى عالما جديدا يدعو الى الله ، ولان طوفان العصر القادم ، سوف يبني عالما جديدا يكفر بقيم التعددية والتسامح ، ويدمر قيم الخير والحق والجمال .. والعياذ بالله .

فهرست الموضوعات

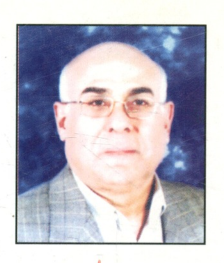
كتب صدرت للمؤلف :

- هذا هو النبي المصطفى (ﷺ)
- الحاسب الالي والتطبيقات الجمركية
- التجارة الخارجية والمنظمات الدولية العاملة
- دليل المسافر الذكي (٣ طبعات)
- جمارك السيارات (١٠ طبعات)
- جمارك الاجهزة الكهربائية
- دليل جمارك الحكومة والقطاع الخاص
- كتب للاطفال :
- اسد السيرك (مجموعة قصص للاطفال)
- العاب والغاز .. (جزآن العاب والغاز للاطفال)

تحت الطبع

- فلسطين والمشروع الصهيوني
- فلسطين .. جرحنا الدامي
- الانتفاضة في مواجهة الحلم التوراتي
- حكايات وراء المدن
- أشياء لها تاريخ

طبعت بمطابع مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر
المطابع التجارية



هذا الكتاب

صدام الحضارات ، او صراع الحضارات كما يسميه الغرب ، ليس سوى غطاء هش لسياسات الهيمنة والسيطرة ، والتغريب ، والحصار حتي تسقط الامة فريسة في احضان السياسات المهيمنة على العالم ، والهاء الامة وشعوبها في معارك جانبية ، وتفتيت كيانها تحت العديد من الشعارات . وفي هذه السطور فضح كامل للمخطط الاسود الذي يستهدف الامة العربية ، ومن ورائها الامة الاسلامية . بلسان ابناء الغرب وعرابي العولمة ، ودعاة صدام الحضارات ، ومروجي سياسات الهيمنة ، وقادة الامبراطورية الخائفة . دون سبب . حتى نفكر فيما يمكن ان نفعله ،

فهل نستوعب الدرس ..!!



رقم الإيداع: ١٣٦ / ١٤٢٥
ردمك: ٣-٦٧٤-٤-٩٩٦٠